

"دور القيم في تحقيق الأمن العام"

أ/دليلة بوزغار

لقد اعتنى الإسلام بتحقيق الأمن الداخلي للمسلم اعتناء كبيرا وجعله من أولويات احتياجاته لذلك وجد من الفقهاء من أطلق دار الإسلام على الدار التي يتحقق فيها الأمن الشامل للمسلم، ودار الحرب على الدار التي لا يأمن فيها المسلم، فقال أبو حنيفة: "إن المقصود من إضافة الدار إلى الإسلام والكفر ليس هو عين الإسلام والكفر وإنما المقصود هو الأمن والخوف، ومعناه أن الأمان إن كان للمسلمين فيها على الإطلاق، والخوف للكفرة على الإطلاق فهي دار الإسلام، وإن كان الأمان فيها للكفرة على الإطلاق، والخوف للمسلمين على الإطلاق فهي دار الكفرة والأحكام مبنية على الأمان والخوف لا على الإسلام والكفر"⁽¹⁾؛ وهذا من خلال منظومة القيم الإسلامية التي تحكم تصرفات المسلم وتوجهها نحو الطريق الصحيح الذي يعود بالخير والنفع للفرد والمجتمع.

لذلك سأحاول بيان ماهية هذه القيم ثم دورها في تحقيق الأمن العام من خلال الخطوات التالية :

أولا , مفهوم القيم

ثانيا, دور القيم في تحقيق الأمن العام :

1- دور القيم الإيمانية في تحقيق الأمن العام

2- دور القيم الأخلاقية في تحقيق الأمن العام

أولاً, مفهوم القيم :

القيم جمع قيمة والقيمة هي ثبات الشيء ودوامه أو ما يحافظ عليه الإنسان ويستمر في مراعاته .

أو هي " مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الله والكون والحياة والإنسان وتتكون لدى الفرد المجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة بحيث

¹ - بدائع الصنائع, الكاساني, ج 9 ص 519.

تمكنه من اختيار أهدافه وتوجهات لحياته تتفق مع إمكانياته وتتجسد من خلال الاهتمامات والسلوك العملي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة (1).

ثانيا، دور القيم في تحقيق الأمن العام :

القيم الإسلامية تشكل الوجهة والبوصلة الدالة على التوجه، وتشذ العقل لإبداع المناهج والبرامج ووضع الأوعية الشرعية لتنزيل هذه القيم على حياة الناس، وتقويم واقعهم بها، والتخطيط لمستقبلهم على هديها، فهي منظومة شاملة لكل مناحي الحياة ، وسأتناول منها القيم الإيمانية والأخلاقية .

1- دور القيم الإيمانية في تحقيق الأمن العام :

تقوم عقيدة التوحيد على ستة أركان، من أنكر واحدا منها لم يدخل في زمرة الموحدين؛ وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، كما جاء في حديث جبريل - عليه السلام - عندما سأل ما الإيمان؟ فقال رسول الله p: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَبِإِقَائِهِ وَرَسُولِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ..." (2).

والمتعمن في هذه الأركان يجد أنّ لها دورا كبيرا في تحقيق الأمن للكلية الخمس؛ ذلك أنّ الأمن هو جوهر الإيمان من وجه أول لأتّهما من جذر لغوي واحد مادته الألف والميم والنون، وعلى رغم اتفاق معظم أهل اللّغة على أنّ الإيمان معناه التصديق، فإنّ ذلك لم يمنعهم من إثبات أنّ أحد معانيه الأخرى الأمن، من حيث أنّه يؤدي إلى الطمأنينة والتحرر من مصادر الخوف والاضطراب (3)، بل إنّ ابن تيميه اعتبر أنّ الإيمان بمعنى الأمن حقيقة مؤكدة لأن الإيمان مأخوذ من الأمن الذي هو الطمأنينة، وبما أنّ لفظ الإقرار مأخوذ من قرّ يقرّ، فإن لفظ الإيمان مأخوذ من آمن يأمن، فالمؤمن دخل في الأمن كما أنّ المقرّ دخل في الإقرار (4)، ومن وجه ثان لأن أحد أسماء الله الحسنى "المؤمن" وهو الذي يجد الخلق في جواره الأمن، فمن آمن بالتوحيد دخل في أمن المستوجب للتوحيد...، ومن وجه

1 - الوثيقة المرافقة لمنهاج العلوم الإسلامية السنة الثانية من التعليم الثانوي، ص 49.

2 - صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب " سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام والإحسان..."، ج 1 ص 19، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب "بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى"، ج 1 ص 36.

3 - الأبعاد السياسية... مصطفى محمود منجود، ص 116.

4 - مجموع الفتاوى، ج 7 ص 530.

ثالث فإن الأمن جوهر الإيمان لأن الله سبحانه مادام قد ارتضى للإنسانية عقيدة التوحيد، فقد رضي لها الأمن في ظل التوحيد لا في ظل ما وضعه البشر من مذاهب وفلسفات وإيديولوجيات...⁽¹⁾، وذلك لإحاطة العقيدة الإسلامية بكل ما يحل مشكلات المجتمع الإنساني بتغيير داخل الإنسان بداية وإصلاحه وتغيير محيطه الاجتماعي وإصلاحه لأنه - كما يقول مالك بن نبي* - "إذا نظرنا إلى مشكلات المجتمع الإنساني وحاولنا التفكير لإيجاد حل لها، فإن الحل لن يخرج عن أحد طريقتين: فالمشكلة واحدة لكنها متصورة بمستويين أو في نطاقين مختلفين نطاق النفس الإنسانية من ناحية، ونطاق الزمن الاجتماعي من ناحية أخرى..."⁽²⁾؛ ذلك أن "الإيمان هو جوهر العقيدة الإسلامية والعمل الصالح هو مضمون الشريعة الإسلامية وثمة تكامل واتصال عضوي بين الإيمان والعمل الصالح على أن العقيدة هي أساس الشريعة أو أن الشريعة تستند في محدداتها إلى العقيدة، ومن دون هذه العقيدة لا تتحقق مقاصد الشريعة وتعاليمها...". ولما كان بيان أثر الإيمان في إشاعة الأمن والاطمئنان موضوعا واسعا ومتشعبا وتتبع جميع النصوص من القرآن السنة التي تبين ذلك يستوجب حيزا أكبر ومجالا أوسع، فسأقتصر على بيان كيف يتحقق ذلك للكليات الخمس باعتبارها الضروريات التي لا يتحقق الأمن حقيقة إلا بشمولها وذلك انطلاقا من حديث المصطفى الذي بين الارتباط الوثيق بين الإيمان وهذه الكليات فقال: **«لَا يُزْنِي الْعَبْدُ حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ - الْعَرَضُ وَالنَّسْلُ - وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ - الْمَالُ - وَلَا يَشْرَبُ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ - الْعَقْلُ - وَلَا يَقْتُلُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ - النَّفْسُ - قَالَ عِكْرِمَةُ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ كَيْفَ يُنْزَعُ الْإِيمَانُ مِنْهُ قَالَ هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا فَإِنْ تَابَ عَادَ إِلَيْهِ هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»**⁽³⁾، فقد بين المصطفى انتفاء وجود اعتداء على تلك الكليات مع وجود صفة الإيمان وبمفهوم المخالفة فوجود الإيمان يستلزم الأمن كما وضح ابن عباس* بالتشابه الذي يعني الترابط الوثيق بين الإيمان والأمن لتلك الكليات - النفس والعقل والنسل والمال صراحة، والدين ضمنا لأنه أمر مسلم به لا دين بلا إيمان - وتفصيل ذلك يكون ببيان دور القيم الإيمانية في تحقيق الأمن للدين والنفس والعقل والنسل **والمال .**

¹ - الأبعاد السياسية...، ص 116.

² - ميلاد مجتمع، دار الفكر، دمشق، سنة 1985م، ص 69.

³ - صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب "إثم الزناة"، ج 8، ص 164.

الأمن للدين: للإيمان دور كبير في حفظ الدين ومن ثم الأمن عليه, لذلك جعله الشاطبي من أول الأمور التي ذكرها في بيانه لكيفية حفظه من جانب الوجود؛ فقال: " فأصول العبادات راجعة إلى حفظ الدين من جانب الوجود كالإيمان..."⁽¹⁾, ويؤكد ذلك الريسوني بقوله: " فحفظ الدين مثلا تحققه من جانب الوجود العقائد الأساسية..."⁽²⁾, ثم إن الإيمان بالله تعالى عقيدة وسلوك, لذلك يعرفه العلماء بأنه إقرار بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح, ويؤكد هذا المعنى الكثير من النصوص الشرعية, منها قوله: "الإيمان بضع وستون شعبة فأفضلها قولُ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وأدناها إماطةُ الأذى عن الطَّريقِ والحَياءُ شعبةٌ مِنَ الإيمانِ"⁽³⁾, فلا إيمانَ المعتبر ما اقترن بالسمع والطاعة وتطهر من الجحود والاستكبار عن أمر الله ، وفي هذا يقول حبنكة الميداني: " وهذا الإيمان هو الركن الأساسي الذي بدأ الإسلام به في تكوين شخصية المسلم لأنه الجذر الأول في بناء شخصيته, وهو العنصر الأساسي المحرك لعواطفه والموجه لإرادته, ومتى صحت عناصر الإيمان في الإنسان استقامت الأساسيات الكبرى لديه وكان أطوع للاستقامة على طريق الحق والخير والرشاد, وأقدر على التحكم بأنواع سلوكه, وضبطها فيما يدفع عنه الضرر والألم والمفسدة, العاجل من كل ذلك والآجل, وفيما يجلب له النفع واللذة والمصلحة العاجل من كل ذلك والآجل, وهذا ما يطلبه منا الإسلام, وقد أدرك حديثا الباحثون من غير المسلمين قيمة العقائد في توجيه سلوك الإنسان فبدؤوا يتحدثون عنها تحت عنوان "أيديولوجيات " ولكنهم ما استطاعوا أن يصلوا إلى المستوى الذي وصل إليه الإسلام, إذ هو يبني في الفرد المسلم إيمانا لا يضارعه ولا يشابهه أي عنصر اعتقادي (أيديولوجي) يحاولون غرسه في نفس الفرد من أفرادهم "⁽⁴⁾, ولذلك كان واجبا على الدولة تثبيت الإيمان في قلوب أفرادها, يقول محمد سلام مذكور: "...وتثبيت الإيمان في قلوب أفراد الشعب هو أقرب الطرق للإصلاح حتى يكون أساسا لكل ما يكلف به المرء أو يقدم عليه, وكثيرا ما يقرن الله الإيمان بالعمل, ويجعل الإيمان أصل الإصلاح وأساس النجاح, فالإيمان هو النور الذي يضيء للقلب طريقه في الحياة...والإيمان الكامل هو سكينه النفس القلقة وهداية القلوب الضالة فهو المعنى

¹ - الموافقات في أصول الشريعة, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, د.ط, د.ت, ج 2ص7.

² - نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي, ص 146.

³ - صحيح مسلم, كتاب الإيمان, باب " بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان ", ج 1 ص 63.

⁴ - العقيدة الإسلامية وأسسها..., ص 31-32.

الفياض الذي تستمد منه الإرادة القوية سر قوتها لأنه الأساس لجميع الفضائل والدولة التي تؤسس على الإيمان فإنها تبقى أبد الدهر قوية الجانب شديدة البأس⁽¹⁾.

لذلك نجد المولى عز وجل يقرن بين توجيه أوامره ونواهيته لعباده بالنداء المشرف للمؤمنين "يا أيها الذين آمنوا" ليحرك فيهم مفعول الإيمان فتكون الاستجابة لأوامر الله والاجتناب لنواهيته، وهذا ما تجسد بالفعل في سيرة المصطفى ρ الذي مكث ثلاثة عشر عاما في مكة يرسخ العقيدة الإسلامية السليمة في قلوب المؤمنين، فكان نتاج ذلك جيلا شعاره الدائم هو "سمعنا وأطعنا"؛ قال البوطي: "...فليست مهمته أن يلقي الناس كلمة الشهادة ثم يتركهم يرددونها بأفواههم وهم عاكفون على انحرافاتهم وبغيهم ومفاسدهم، صحيح أنّ المسلم يصدق عليه اسم المسلم إذا صدق بالشهادتين وأحلّ الحلال وحرم الحرام وصدق بالفرائض، ولكن ذلك غير كاف لأنّ التصديق بوحداية الله ورسالة محمد ρ هو المفتاح والوسيلة لإقامة المجتمع الإنساني وتحقيق نظمه ومبادئه، وجعل الحاكمية في كل الأمور لله وحده، فحيثما وجد الإيمان بوحداية الله تعالى ورسالة نبيه محمد ρ ، لابد أن يتبعه الإيمان بحاكمية الله تعالى وضرورة اتباع شريعته ودستوره"⁽²⁾، وهذا ما جعل أبا بكر الصديق رضي الله عنه يعلن الحرب على الذين منعوا الزكاة ويعتبرهم من المرتدين مع أنّهم كانوا يقولون "لا إله إلا الله" قائلا: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإنّ الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله لقاتلتهم على منعها"⁽³⁾، فلا يقبل من المسلم أن يقول "لا إله إلا الله" ثم لا يحقق المعنى الحقيقي لها "لا معبود بحق إلا الله"؛ ولهذا حارب الإسلام النفاق وجعله من أكبر الكبائر التي يستحق صاحبها - المنافق - الدرك الأسفل في النار، كما حلت اللعنة بإبليس والطرده من الجنة مع أنّه كان يعلم أنّ الله وحده لا شريك له لما خالف أمر الله؛ قال محمد الغزالي: "لقد كان إبليس يعلم أنّ الله وحده لا شريك له، وكان يعلم أنّ مصيره إليه يوم يبعثون، بيد أنّه لما صدر إليه الأمر أن أسجد، فقال - مستكبرا جاحدا -: لا... عدّ كافرا ولم تشفع له معرفته بوحداية الله لأنّ المعرفة المجردة عن مبدأ الخضوع المطلق لرب العالمين لا وزن لها، والمعصية التي يقارنها هذا التمرد تخلع صاحبها عن الإيمان خلعا، والشعور بتلك الحقيقة هو الذي جعل أبا بكر يسوّي بين مانعي الزكاة وبين المرتدين برغم زعمهم أنّهم مؤمنون، فقد صدر إليهم

¹ - معالم الدولة الإسلامية، مكتبة الفلاح الكويت، ط 1 سنة (1403هـ، 1983م)، ص 164.

² - فقه السيرة النبوية، دار الفكر، سورية، دار الفكر، الجزائر، ط 11 سنة (1412هـ، 1991م)، ص 120.

³ - صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب "وجوب الزكاة"، ج 2 ص 105.

الأمر بإيتاء الزكاة، فعصوا وشهروا السلاح وآثروا القتال على دفع المال، فساق إليهم الخليفة الأول جيوش الإسلام تفلق هاماتهم وتلحقهم إبليس الجاحد المستكبر وهذا الحكم يسري في جميع الأحوال المتشابهة... " (1).

إذا تحقق الإيمان بهذا المعنى في قلب المؤمن كان مستقيماً على أوامر الله مبتعداً عن نواهيه، ومن ثم يقيم أركان الدين وقواعده ويبتعد عن كل ما يوقع الخلل فيه، فيتحقق الأمن لدين الفطرة التي فطر الناس عليها دون تبديل أو تغيير ويؤمن المؤمن دنيا وآخرة وكل من يميل عن الحق والاستقامة فإنّ جزاءه الحرمان من الأمن في الدنيا والإلقاء في نار جهنم .

الأمن للنفس: إنّ خالق النفس البشرية عليم خبير بخباياها وحاجاتها؛ وبالتالي فإنّه لا يمكن أن تطمئن هذه النفس وتشعر بالأمن إلّا في ظل منهج خالقها عقيدة وشريعة، فأما بالنسبة إلى العقيدة فإنّ ذلك يتجلى من خلال التصديق الجازم بأركانها الستة - الإيمان بالله، والملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره -، والتي تشكل أسس التربية الروحية؛ قال القرطبي: "...وبهذه التربية الروحية تتكون القلوب الحية أو الضمائر اليقظة التي هي أعظم رادع عن الشر وأكبر حافز على الخير وأقوى مدد لمكارم الأخلاق وأعظم مانع ورادع عن الشر والزلات ومختلف الاعتداءات..." (2)، وقال أحمد يوسف: "...لذلك فإنّ الناس ينقسمون بالنسبة إلى الأمن ثلاثة أقسام بحسب إيمانهم:

1- قسم يتمتع بالأمن الكامل والهداية التامة في الدارين وهؤلاء هم الذين اكتملت فيهم صفات الإيمان والتوحيد الخالص.

2- وقسم حرموا الأمن والهداية، فليس لهم منها نصيب وهم المشركون.

3- وقسم كان لهم بعض الأمن وبعض الهداية على قدر مالهم من إيمان وتوحيد..." (3).

وقال الزحيلي: " أما السلام النفسي والروحي فلا يتحقق إلّا بالإيمان، والإيمان هو إذعان النفس لليقين بالفرق بين الخير والشر، والفضيلة والرذيلة، والحق والباطل، والعدل والظلم، وبأنّ على الوجود مسيطراً يرضى بالخير ولا يرضى بالشر، وهو الإله القادر الفرد الصمد الحي القيوم، خالق الكون وبارئ

¹ - عقيدة المسلم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 100.

² - الحل الإسلامي فريضة و ضرورة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3 سنة (1397هـ، 1977م)، ص47.

³ - أثر العقيدة في تحقيق الأمن النفسي، ص28.

النسم، ومالك يوم الدين في المعاد، بهذا الإيمان تقوى العزيمة وترتفع الهمة وتسمو النفس البشرية بالأمن والطمأنينة وتتخلص من قيود الأهواء الجامحة، والمطامع المسيطرة، وآفات التردد والحيرة، والارتباك، وبواعث القلق والاضطراب، ولاسيما عند نزول الشدائد، وظلمات الأحداث سواء في ذلك الأفراد والجماعات، ونظرا إلى أهمية السلام الروحي لسائر البشر كان أهم ما يحرص عليه المسلم هو عافية النفس وعافية الضمير ونقاء القلب وصفاء السريرة، وهو الدعاء الذي كانت تدعو به عائشة إذا رأت ليلة القدر: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ"⁽¹⁾، وذلك لأن النفس البشرية لا تطمئن ولا تسكن إلا إذا اهتدت إلى الفطرة التي خلقت عليها - الإيمان بالله - "⁽²⁾، وقد ثبت عن النبي ρ أنه لم يكن يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي ويصبح: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي قَالَ يَعْنِي الْخَسْفَ"⁽³⁾، أما كيف يتحقق ذلك؟ فبياناه كما يأتي:

1- الإيمان بالله يحقق توحيد الهوية: فالذي يلتزم بالتوحيد تتوحد وجهته وتتحدد غايته،

فتتضح طريقه فيقبل على الله بكله يريد القرب منه ويبتغي رضاه، فيتخلص من الصراع الذي يعاني منه غير المؤمن حيث تتنازعه غايات شتى، وغرائز كثيرة فيظل حائرا أيها يرضي...؟!؛ قال القرضاوي: "وما أعظم الفرق بين رجلين أحدهما عرف الغاية، وعرف الطريق إليها فاطمأن واستراح، وآخر ضل يخبط في عماية ويمشي إلى غير غاية، لا يدري إلام المسير؟ ولا إلى أين المصير... لقد عرف المؤمن الغاية فاستراح إليها وعرف الطريق فاطمأن به: إنه طريق الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، إنه الصراط المستقيم الذي يهدي إليه محمد، وبهذ الصراط المستقيم، كان المؤمن في أخلاقه وسلوكه مطمئنا غير قلق، ثابتا غير متقلب واضحا غير متردد، مستقيما غير متعرج، بسيطا غير معقد، لا يحيره تناقض الاتجاهات، ولا يعذبه تنازع الرغبات، ولا يحطم شخصيته الصراع الداخلي في نفسه: أيفعل أم يترك؟ أيفعل هذا أم ذاك؟ إن له مبادئ واضحة ومعايير ثابتة يرجع

2- سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، باب " ما يقول إذا وافق ليلة القدر " تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 سنة (1411 هـ، 1991 م)، ج6 ص219.

² - دعائم الأمن والسلام في الإسلام، الموقع: http://www..fusta.com/hadarat/zuhaili_3_4shtml

³ - سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب " ما يقول إذا أصبح "، ج4 ص479، مسند أحمد، مسند عبد الله بن عمر، ج2 ص25.

التنوعات لأنّه عرف من يطيع ومن يعبد⁽¹⁾؛ قال عبد الفتاح أبو زائدة: "وهنا تبرز قوة العقيدة عند المرء وعلى أساسها تتبني حياته الروحية والعملية، فالعقيدة إذن هي الرباط الذي يربط كيان الإنسان ويوحد اتجاهه، وهي العقدة الصلبة التي تمنع انحلاله، وعقيدة المؤمن توازن بين مطالب النفس المتشعبة، فهي مثلا لا تمنع الاستمتاع بالطيبات من الرزق ولا تحرم زينة الله التي أخرج لعباده، بل هي تدفعه إلى إشباع النفس من هذا المسلك الحسن، ولا تحول بين الإنسان وبين عمله على تنظيم المجتمع وتقدمه..."⁽²⁾.

فالمؤمن يثق في ربه ومن ثم يسلم كل أمره له سبحانه، فتطمئن نفسه وترتاح دون أن تؤثر عليه قلة الماديات أو فقدانها، وخير دليل على هذا واقع الحضارة الغربية التي وصلت إلى حد الترف المادي ولكن نسبة الأمراض النفسية المؤدية إلى تزايد الجرائم بمختلف أنواعها في تزايد مستمر وخاصة في الدول الشيوعية، لذا فإنّ أغلب علماء النفس يعتقدون بأنّ: "أغلب حالات الأمراض النفسية تعود إلى فقدان الثقة في قدرة الله جهلا، ممن طمس على بصيرتهم وأبصارهم، وأضلّهم الشيطان لضعف إيماني وخلل عقلي أفسد ذاكرتهم، وأخل بالتوازن السليم في خلاياهم ففقدت التصرف السليم لإصابة مركز تخزين المعلومات بتلف وخمول للقوة الذهنية فعجزت عن الإدراك الحسي الواعي الذي يتحكم في عملية التمييز، ولا ريب أنّ التقوى نور وعلم يهدي إلى الحق وإلى الطريق المستقيم ويخرج الناس إلى الهداية والفضيلة التي خلق الله عباده عليها..."⁽³⁾.

2- **الإيمان بالله يحرر من الخوف:** الخوف ضد الأمن، ولا شيء في ميزان الإسلام يعدل عقيدة التوحيد في تحرير الفرد والأمة من مصادر الخوف والاضطراب، وهذا ما يقتضيه معنى لا إله إلا الله وأركان العقيدة الإسلامية - الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره-؛ "إنّ الإيمان يوصل في نفس المؤمن كل أبواب الخوف إلا الخوف من خالق البشر، فهو وحده يملك النفع والضرر والحياة والموت، ويقال: "من خاف الله، خافه كل

¹- جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1 سنة (1420 هـ، 2000م)، ج 21 ص 285.

²- الإيمان وحقيقة العبادة في الإسلام،، صحيفة الدعوة الإسلامية، ط2 سنة 1992م، ص 178.

³- نظم الأمن والعدالة في الإسلام، محمد الحسيني عبد العزيز، دار غريب، القاهرة سنة 2002م، ص 20.

شيء، ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شيء" (1)، فالإيمان بالله: يجعل المؤمن لا يخشى إلا الله موقنا بأنه هو وحده الرازق، المعطي المانع، المحي، المميت، رب السماوات والأرض، فلا يخاف أحدا سواه ولا يخشى على رزق، ولا يخاف من مرض، ولا يخشى الموت...، ولا يخاف المرض لأنه يعلم أنه ابتلاء من الله لعباده الذين يحبهم ليكفر عنهم سيئاتهم ويرفع من درجاتهم، وأن في أسوأ الأحوال يؤدي إلى الموت الذي هو بالنسبة إلى المؤمن حق لا بد منه، وما هو إلا فاصل بين الحياة الدنيا والآخرة، لأن الدنيا كلها دار فناء وابتلاء، لذلك بين النبي ﷺ أنه لا يخاف من الموت إلا من كان يعيش في موت من سوء عمله، خشية أن يحاسبه الله على سوء ما قدم، فقال ﷺ: "مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ" (2)، أما المؤمن الذي حسن عمله فإنه لا يخشى الموت لأنه يوقن أن هذه النفس لا بد أن ترد إلى خالقها لتلقى الجزاء العظيم فالموت بالنسبة إلى المؤمن معناه لقاء الله، ولقاء محمد ﷺ وصحبه الأخيار الأبرار، ومعناه انتهاء ما فيه الإنسان من مكابدة، ومشاق، والانتقال إلى سعادة لا شقاء بعدها أبدا، ونعيم لا يزول، لأنه نال ذلك بحسن عمله في الحياة الدنيا...، ثم إن هذا الموت لا علاقة له بسلم أو حرب أو إقامة أو سفر، فتطمئن نفسه وهو يقوم بواجباته الدينية والدنيوية، ومع ذلك فإنه لا مانع من طلب الشفاء من الله والأخذ بالأسباب الموضوعية لذلك؛ وبالتالي فالمؤمن بعيد كل البعد عن اليأس المؤدي إلى الهم والغم والخوف والقلق، عملا بقوله تعالى: "إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ" (3)، فالمؤمن بإيمانه بالله تعالى والالتجاء إليه والتوكل عليه والاستمساك بمنهجه سيجتاز جميع المحن بمشيئة الله ويشعر بعدها بقرب أكثر من الله وبسعة وهكذا فلا يأس مع إيمان ولا إيمان مع يأس بل رجاء في رحمة الله وعفوه ورضاه، وامتنال لأوامره واجتناب لنواهيه، وحتى الذين يضلون الطريق فيعصون ربهم فباب التوبة مفتوح إلى يوم القيامة يقضي على كل مظاهر اليأس والقنوط التي قد تتسرب إلى النفس فتزرع فيها القلق والخوف والفرع، ثم إن الإيمان

¹ - إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت، ج 4 ص 162.

² - صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه"، ج 8 ص 106، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه"، ج 4 ص 2065.

³ - يوسف: 87.

بالقضاء والقدر له أثر كبير في استقرار النفس الإنسانية، واطمئنانها فالمؤمن يعتقد بأن الله هو وحده النافع، الضار، فلا خوف من المستقبل المجهول لأن الله العدل الذي لا يظلم عنده أحد هو من يخطئه؛ فيكون من فوائد الإيمان بالقدر: الرضا واليقين، تكفير الذنوب، إعطاء الأجر الكبير، غنى النفس، عدم الفرح والحزن، الشجاعة والإقدام، عدم الخوف من ضرر البشر، عدم الخوف من الموت، عدم الندم على ما فات، الاعتقاد أن الخير فيما اختاره الله...⁽¹⁾، وفي كل هذه الأمور تحقيق للأمن النفسي، وابتعاد عن أسباب القلق، والاضطراب والخوف والفرع والاكتئاب...؛ قال حسن أيوب: " أما الإيمان بالقدر فهو الراحة النفسية للإنسان العامل المتحرك المنطلق حينما تعترضه عقبة لم تكن في الحسبان، أو يقف في طريقه أمر لم يخطر له على بال، إنه حينئذ يقول: هناك حكمة من أجلها غير القدر المسير أو أوقفه قليلا، والإيمان بالقدر شحذ لهمة الكسول وتقوية لنفس الجبان حتى يؤمن أن الجبن لا يدفع شرا وأن الشجاعة لا تجلب خطرا ويكفي لأهمية الإيمان بالقدر شعور المرء بأنه - وهو يعمل - له ارتباط بالله وتعلق به في كل خطوة من خطواته فهو إذا ليس وحده ولن يكون كذلك أبدا"⁽²⁾، لذلك علمنا القرآن الكريم والسنة النبوية عدم الحسرة على ما فات والسخط على الحاضر والخوف من المستقبل بأن يقول: لو كان كذا لكان كذا؛ كما يفعل بعض المنافقين ومرضى القلوب:، بل يقول دائما "قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ"⁽³⁾، ولا يتحسر على ما فات، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ كَمَا أَخْبَرَ⁽⁴⁾ ويتذكر المؤمن أن الله قد ضمن له كل شيء قبل أن يولد، كما جاء في الحديث القدسي: "...ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤَمَّرُ بَكْتَبٍ أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ يَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا..."⁽⁵⁾، فيكون موقف المؤمن من القدر الاستخارة قبل وقوع الفعل والرضى بعد وقوعه.

¹ -مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع، محمد بن جميل زينو، دار الصميعي، الرياض، د.ط، د.ت، م 2 ص 255-256.

² -مع الله في صفاته وأسمائه الحسنى، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 29-30.

³ - سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب " فضل الحامدين "، ج 2 ص 1250.

⁴ -صحيح مسلم، كتاب القدر، باب " في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله "، ج 4 ص 2052.

⁵ -المصدر نفسه، كتاب القدر، باب " كيفية الخلق "، ج 4 ص 2036.

وبذلك يكون المؤمن بالقضاء والقدر متحملاً بالطمأنينة والرضا بالصبر والثبات والتوكل والأخذ
بالأسباب⁽¹⁾.... وهذه الأمور إذا تمكنت من قلب المؤمن جعلته يعيش في عالم رفيع يشعر فيه بالراحة
والاطمئنان في جميع أحواله كما قال p: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا
لِلْمُؤْمِنِ: إِنَّ أَصَابَتُهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ"⁽²⁾.

والإيمان باليوم الآخر أيضا له دور كبير في طمأنينة النفس خاصة عند الخوف من أنواع
المخاطر والصعاب، لأن الله- سبحانه وتعالى- يعلم حقيقة النفس البشرية وأنها قد تحجم أمام الصعاب
والمخاطر وقد تياس فيعالجها الله باستجاشتها وطمأنتها في آن واحد، ويأخذ بيدها في كل موقف من
مواقف الحياة لتجتازه بعقيدة إيمانية ثابتة ويقين لا يتزعزع بنصرة الحق سبحانه وتعالى، وعند حدوث ظلم
أو اعتداء من الآخرين، لا يحزن لأنه يعلم أن هناك يوما تعرض فيه الأعمال ويحاسب الإنسان على
كل صغيرة وعند الفقر أو إصابته بمرض أو مصيبة، أو عاهة أو غيرها... ما عليه إلا بالصبر
والرضا وسيعوضه الله خيرا في الآخرة، لذلك كان الخوف من اليوم الآخر مانعا من الوقوع في الجرائم
والمعاصي بصفة عامة ودافعا إلى التوبة وتسليم النفس للعقاب الدنيوي قبل الأخروي كما حدث في
قصة الغامدية وقصة الأسلمي وما عر وغيرهم⁽³⁾، ولأجل ذلك كان يغرس النبي p هذا الأمر في نفوس
المؤمنين بقوله: "إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخَصْمُ فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أْبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ فَأَحْسِبُ أَنَّهُ
صَدَقَ فَأَقْضِي لَهُ بِذَلِكَ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ فَلْيُتْرِكْهَا"⁽⁴⁾
وهذه الخاصية من أعظم الفوارق بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية⁽⁵⁾.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فتوحيد الله في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات يخلص
النفس الإنسانية من جميع الأمراض النفسية من حسد وكبر وبخل وشح و... غيرها، فتتخلص مما تجر

¹ - البعد النفسي والاجتماعي لعقيدة القضاء والقدر، نورة رجاتي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية،
قسم العقيدة ومقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، الجزائر، سنة 2007م، ص 65-151.

² - صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب "المؤمن أمره كله خير"، ج 4 ص 2295.

³ - أنظر قصص هؤلاء في: صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب "من اعترف على نفسه بالزنى"، ج 3 ص 1325.

⁴ - صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب "إثم من خاصم في الباطل وهو يعلمه"، ج 3 ص 131، صحيح مسلم، كتاب الأفضية باب "الحكم
بالظاهر واللحن بالحجة"، ج 3 ص 1337.

⁵ - المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، يوسف حامد العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط 2 سنة (1415هـ،
1994م)، ص 47-48.

إليه من هموم وغموم، وفي الوقت نفسه يقضي على ما يتسبب في الاعتداء على الغير، فيأمن الإنسان نفسياً لأن قلبه سيكون سليماً، ويأمن غيره من شرور النفس البشرية.

هذا من الناحية النفسية، أما كيف يتحقق الأمن للذات البشرية عن طريق العقيدة الإسلامية؟ فهذا يظهر من خلال آثارها على السلوك حيث يستحضر المؤمن رقابة الله وعقابه وحسابه يوم الحساب فلا يعتدي على النفس البشرية بأي نوع من أنواع الاعتداء لأنه يعلم أن كل شيء مسجل عليه وإن سلم من العقاب الدنيوي فإنه لا يستطيع الإفلات من العقاب الأخروي، لذلك حذر الله تحذيراً شديداً من الاعتداء على النفس البشرية بغير حق واعتبر أن من قتل نفساً كأنما قتل الناس جميعاً ومن أحيها كأنما أحيها الناس جميعاً فقال Y: "مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا"⁽¹⁾، وقال فيمن قتل نفساً متعمداً: "وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا"⁽²⁾، وقد قص علينا القرآن الكريم كيف حدثت أول جريمة على وجه الأرض - قصة قابيل وهابيل - كنموذجين للنفس السوية التي تستحضر مخافة الله فلا تعتدي ولا تظلم - هابيل - والنفس المريضة بالحق والحسد والتهور وغيرها فتغفل رقابة الله لها فتقع في الاعتداء والظلم؛ قال تعالى: "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيْ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ"⁽³⁾؛ قال القرطبي*: "تضمنت هذه الآية البيان عن حال الحاسد، حتى أنه قد يحمل حسده على إهلاك نفسه بقتل أقرب الناس إليه قرابة، وأمسه به رحماً، وأولاهم بالحنو عليه ودفع الأذية عنه"⁽⁴⁾؛ حيث يكشف التحليل القرآني للقصة الخطيرة أن الشخصية الإنسانية مسالمة إذا تحررت من عناصر الحسد وحب الذات والتهور... وغيرها من الآفات التي تغطي الفطرة الإنسانية... وبناء على ذلك نصل إلى أن بناء سلم إنساني شامل وحقيقي يمر بالضرورة عبر تحقيق نفسية سوية تتقلص بداخلها

¹ - المائدة: 32.

² - النساء: 93.

³ - المائدة: 27-30.

*- القرطبي هو: هو محمد بن احمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي، المالكي، من كبار المفسرين، له الجامع لأحكام القرآن، توفي سنة 671هـ. [شذرات الذهب، ج5 ص335].

⁴ - الجامع لأحكام القرآن، ج6 ص142.

عوامل الأحقاد والكرهية والتهور... وتتشعب بالقيم والمبادئ، وقد صنف القرآن الكريم النفوس البشرية ثلاثة أنواع هي: الأمانة بالسوء - اللّوامة - المطمئنة وعلى ضوء طبيعة هذه النفس أو تلك تنبثق أفعال وسلوكيات تخدم الأمن أو تعرضه للخطر والزوال، تساهم في أفعال الخير أو تكون معرقة لها ولا شك أنّ النفس المؤهلة لتحقيق السلم الإنساني هي النفس التي ترجع إلى الله بالتوبة والاستغفار والذكر والخشية لترتقي من نفس أمانة بالسوء إلى نفس لوامة إلى نفس مطمئنة، فتكون بذلك الوحيدة المؤهلة لتحقيق السلم والازدهار... (1).

وبكل هذه الأمور يعيش المؤمن آمناً مطمئناً لأن إيمانه هو مصدر ذلك كله؛ فالشرك بالله يوجب الرعب للكافرين والإيمان بالله بأركانه وشروطه يحقق النصر والأمن للمؤمنين (2).

الأمن للعقل: كرم الله الإنسان بالعقل وميزه به على سائر المخلوقات، لذلك كان حفظه مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية وهذا يدل على أهميته ومنزلته؛ ذلك أنّ العقل الإنساني أداة الإدراك والفهم والنظر والتمييز والموازنة بين الخير والشر والنعف والضرب وهو مناط التكليف بخطاب الشرع طلباً أو كفاً أو تخييراً أو وضعاً كما أنه أداة الاجتهاد والتجديد إلى يوم القيامة بعد انقطاع الوحي فتكرر ذكره في القرآن الكريم باسمه وأفعاله تأكيداً على أهميته، وكان تحقيق الأمن له واجباً، لأن ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب وذلك من خلال ما يأتي:

1- حماية العقل بالوحي الإلهي: أنعم الله على الإنسان بالعقل وزوده بالوحي ليكون عاصماً له من الزلل في هذه الحياة التي يتعرض فيها إلى ضغوط كثيرة من شهواته ونزواته ومطامعه ورغباته، لذلك فإن الله جعل حجيته على الناس هي الوحي والرسالة، لأن الله يعلم أنّ العقل وحده يضلّ والفطرة وحدها تتحرف وأن لا عاصم لعقل أو فطرة إلا أن يكون الوحي هو الرائد الهادي وهو النور والبصيرة، والواقع يشهد أنّ الحياة الإنسانية التي قامت أنظمتها على المذاهب الفلسفية أو العلم هي أبأس حياة يشقى فيها الإنسان مهما فتحت له أبواب كل شيء، ومهما تضاعف الإنتاج والإيراد ومهما تيسرت أسباب الحياة ووسائل الراحة فيها على أوسع نطاق، ومن هنا كان الوحي حماية للعقل وأمناً له بدل التيه

¹ - أسس السلم الإنساني في العقيدة الإسلامية، برامة أحسن، مذكرة ماجستير غير منشورة، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، سنة 2003م، ص 119-120.

⁵ - فقه النصر بالرعب في الإسلام، علي محمد حسنين حماد، مركز البحوث التربوية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط1 سنة (1417هـ، 1996م)، ص 34-40.

في الفلسفات المادية، وهذا ما جعل الشاطبي يقول بتقديم النقل على العقل مطلقاً: " يتقدم النقل فيكون متبوعاً ويتأخر العقل فيكون تابعاً، فلا يسرح العقل في مجال النظر إلا بقدر ما يسرحه النقل" (1) ويعلّل ذلك بقوله: "لو جاز للعقل تخطي مأخذ النقل، لم يكن للحدّ الذي حدّه النقل فائدة، لأنّ الفرض أنّه حدّ له حدّاً فإذا جاز تعديه صار الحدّ غير مفيد وذلك في الشريعة باطل، فما أدى إليه مثله" (2).

2- دعوة العقل إلى التفكير في الآفاق: إحاطة العقل بالوحي لا تعني الحجر عليه، بل إنّ

الإسلام يدعو إلى التفكير والتدبر في مخلوقات الله تعالى ليحصل له الانسجام بين ما يعتقد وما سيصل إليه التفكير السليم المجرد عن الهوى والتعصب المذموم، وهذا أعظم شيء يحقق الأمن الفكري للعقل؛ فبدل أن يتخذ الإنسان بعض مخلوقات الله تعالى آلهة يخافها ويقدها - كما فعل السابقون - يأتي إعمال العقل موضعاً للحقائق ومبطلاً لكل تلك الأوهام والأباطيل؛ حيث حكى القرآن الكريم قصة التفكير في الكون المؤدي إلى الإيمان بالخالق: **وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِفْلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** (3)، قال محمد المبارك: "إنّ الطريق التي ألهم الله إبراهيم أن يسلكها هي طريق البشرية في تقدمها، فلقد أنزل العقل الطبيعة من على عرشها إلى مكانها الحقيقي، إنه الرأي الذي أراه الله إبراهيم حتى انتهى به إلى اليقين عن طريق الانتقال من فرضية إلى أخرى وهذه حجة عامة لا تختص بنبي يوحى إليه، وهذه الدرجات التي يرتفع بها أهل العلم والفكر... " (4).

لذلك وردت نصوص كثيرة تحث على التفكير والتدبر بل ذم القرآن الكريم الذين لا يتفكرون ولا يعملون عقولهم، ومن هنا يكون التفكير في الإسلام واجباً وفريضة يتحقق به الأمن للعقل فيرتقي التفكير

¹ -الموافقات، ج 1 ص 87.

² -المصدر نفسه، ج 1 ص 87.

³ - الأنعام: 75 - 79.

⁴ - نحو إنسانية سعيدة، دارالفكر، د.ط، د.ت، ص 33-43.

الإنساني من مجال الخرافات والأساطير إلى التأمل العلمي والمشاهد الصحيحة ليصل بذلك إلى الحقيقة الخالدة.

3- مخاطبته بما هو أهل له: يخاطب الإسلام العقل بما يؤدي إلى إشباع تطلعاته وبجيب عن تساؤلاته مما يضمن الأمن عليه من الزيف والتهيه فيما لا يستطيع استيعابه,, لذلك كان مجال إعمال العقل هو عالم الشهادة وليس عالم الغيب ولا يعني ذلك تقيده ولا الحجر عليه ولكنه عصمة له من التردّي في مهووي الضلالة وإبعاد له عن معالجة أبحاث لم تتوفر له وسائل بحثها ولا تحتل قوتها؛ كما حدث مع سيدنا موسى ﷺ حين طلب رؤية الله؛ فحكى القرآن الكريم ذلك "وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ نُنْظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ"⁽¹⁾, فالعقل البشري لا يستوعب رؤية الذات الإلهية لذلك نهى النبي عن التفكير فيها وأمر بالتفكير في مخلوقاته حيث قال p: " تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي الْخَالِقِ فَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ قَدْرَهُ"⁽²⁾, وقال رسول الله: "لَا يَزَالُ النَّاسُ يَنْسَاءُلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هَذَا، خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيُقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ"⁽³⁾, وذلك حتى لا يخوض العقل في مجال لا يطيقه ولا تستوعبه قدرته الإدراكية فيضل صاحبه ويبتعد عن الصراط المستقيم.

وبهذه الأمور يكون العقل في أمن وأمان من الوقوع في الانحراف الفكري الذي يؤدي بدوره إلى الانحراف السلوكي- حيث إنّ السلوك يكون نابعا منه ومتأثرا به - مادام مستتيरा بالعقيدة الإسلامية الصحيحة التي ترسم له الإطار الذي يعمل فيه دون إفراط ولا تفريط. وفي الوقت نفسه تمنعه من الوقوع في الأمور التي تضر بالعقل وتعطله عن القيام بواجب التفكير والتدبر كشرب الخمر وغيرها باستحضار رقابة الله عز وجل ومفعول الإيمان بالله واليوم الآخر وأثره في استقامة السلوك وفق منهج الله .

¹ - الأعراف: 143.

² - الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت، ج 2 ص 15، كنز العمال في سنن الأقبوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت، ج 29 ص 153.

³ - صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب " ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه "، ج 9 ص 96، صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب " بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله إن وجدها "، ج 1 ص 88، (واللفظ لمسلم).

الأمن للعرض والنسل والنسب: من مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ العرض والنسل والنسب, وقد شرعت لذلك عدة أحكام عملية تؤدي إلى الأمن عليها وفي الوقت نفسه ربطت هذه الأحكام بالعقيدة الإسلامية باعتبارها السلطان الأول على النفس البشرية واستقامة سلوكها, فلا يكون الخوف على هذه الأمور إلاّ عند ضعف الوازع الديني بسبب ضعف الإيمان, لذلك يقول p: "...لَا يَزْنِي الْعَبْدُ حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ...". فصفاة الإيمان التي تقتضي خوف الله واستحضار رقابته في كل حال تتنافى مع وقوع الشخص في جريمة الزنى فترتفع عن صاحبها, ذلك أنّ المرء عندما يؤمن بالله وماله من صفات السمع والبصر... تتولد لديه رقابة ذاتية أهم بكثير من رقابة الغير, وعندما يؤمن بالملائكة يعلم أنّ كل صغير وكبير مسجل عليه فيبتعد عن الجرائم وعندما يؤمن باليوم الآخر يعرف أنّ هناك يوماً فيه حساب وعقاب لا يمكن الإفلات منه لذا نجد الربط بين هذه الأمور والأمر المراد فعلها والأمر المراد تركها في كثير من النصوص الشرعية لما في ذلك من أثر على النفس, وهذا ما جعل تلك المرأة التي غاب عنها زوجها زمن عمر بن الخطاب تصرح قائلة:

تطاول هذا الليل تسري كواكبه وأرقني أن لا خليل ألاعبه

إلى أن قالت:

فو الله لولا الله لاشيء غيره لحرك من هذا السرير جوانبه

ولكنني أخشى رقيباً موكلًا بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه (1)

ففي هذا المثال أثر واضح للإيمان بالله واليوم الآخر في المنع من جريمة الزنى خشية العقاب

الأخروي.

كما أنّ للرجبة في الفوز بالجنة أثراً كبيراً في اجتناب ما نهى الله عنه وفعل ما أمر به لذلك

ربطت به عدة أمور فمن أخذ غير نسبه الحقيقي حرمت عليه الجنة حيث قال p: " مَنْ ادَّعَى إِلَى

غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ"⁽²⁾, وقال p: "أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَدْخَلْتُ عَلَى قَوْمٍ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ فَلَيْسَتْ

¹ - تاريخ عمر بن الخطاب, ابن الجوزي, ص 77.

² - صحيح البخاري, كتاب الحدود, باب " من ادعى إلى غير أبيه ", ج 8 ص 156, صحيح مسلم, كتاب الإيمان, باب " بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم ", ج 1 ص 80.

مِنْ لَّهِ فِي شَيْءٍ وَلَنْ يُدْخِلَهَا اللَّهُ جَنَّتَهُ وَأَيُّمَا رَجُلٍ جَدَدَ وَلَدَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ احْتَجَبَ اللَّهُ مِنْهُ وَفَضَحَهُ عَلَى رُءُوسِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ" (1).

ولا شك أن هذه الأحاديث لها أثر كبير في نفس المؤمن مما يجعله يحفظ نسبه ولا يأخذ نسب غيره ولا يعتدي على أعراض غيره لاستحضاره مخافة الله وعقابه الأخروي؛ وخير مثال على ذلك؛ قصة يوسف مع امرأة العزيز حين قال لها: "مَعَادَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ" (2) وقصة الرجل الذي أراد الاعتداء على ابنة عمه بعد أن تهيأت له جميع الظروف ولكن خوف الله رده عن ذلك لما ذكرته بقولها: "اتقِ اللَّهَ وَلَا تَفْضُضْ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ" (3)، وبهذا يأمن الناس على أنسابهم وأعراضهم.

الأمْنُ لِلْمَالِ: المال في الإسلام له قيمة عظيمة، لذلك اعتنى به كثيرا من حيث مصدره وكيفية إنفاقه وربط ذلك بأحكام عملية وأخلاقية ومبادئ ترجع إلى العقيدة الإسلامية مما يستوجب الالتزام بها في جميع الأحوال، وهذا أمر يتميز به النظام الاقتصادي الإسلامي عن سائر الأنظمة الوضعية الأخرى؛ قال محمد باقر الصدر: "إنَّ العقيدة التي هي مصدر التموين الروحي للمذهب الاقتصادي والتي يرتبط بها الاقتصاد الإسلامي تدفع المسلم إلى التكيف وفقا لهذا المذهب بوصفه نابعا من تلك العقيدة وتضفي على المذهب طابعا إيمانيا وقيمة ذاتية، بقطع النظر عن نوعية النتائج الموضوعية التي سيسجلها في مجال التطبيق العملي وتخلق في نفس المسلم شعورا بالاطمئنان النفسي في ظل المذهب، باعتباره منبثقا من تلك العقيدة التي يدين بها، ففوة ضمان التنفيذ والطابع الإيماني والروحي، والاطمئنان النفسي كل تلك الخصائص يتميز بها الاقتصاد الإسلامي عن طريق العقيدة الإسلامية الأساسية التي يرتكز عليها ويتكون ضمن إطارها العام... " (4)، حيث إن مقتضى هذه العقيدة أن الإنسان من أفضل مخلوقات الله تعالى خلقه لعبادته بمعناها الواسع، وهذا يقتضي منه الخضوع الاختياري والمطلق لله رب العالمين، وهذا في كل أحواله بما فيها عند تعامله مع المال اكتسابا وإنفاقا وبالتالي يلتزم بجميع الأحكام

¹ - سنن أبي داود، كتاب الطلاق، باب "التغليظ في الانتقاء"، ج 2، ص 246، سنن النسائي الكبرى، كتاب الطلاق، باب "التغليظ في الانتقاء"، ج 3، ص 378.

² - يوسف: 23.

³ - صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب "إذا اشترى شيئا لغيره بغير إذنه فرضي"، ج 3، ص 80، صحيح مسلم، كتاب الرقاق، باب "قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال"، ج 4، ص 2099.

⁴ - اقتصادنا، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط 20 سنة (1408هـ، 1987م)، ص 294.

الشرعية المنظمة للنشاط الاقتصادي بنفس راضية ومطمئنة ودون حاجة إلى رقابة أحد تحت مفعول الوازع الديني الذي هو أقوى ضابط لسلوك الإنسان.

لذلك قصّ علينا القرآن الكريم عاقبة من يتمسك بعقيدة التوحيد وأثر ذلك في الأمن على ماله وعاقبة من يشرك بالله فيمحق الله بركة ماله من خلال قصة صاحبي الجنتين؛ فقال تعالى: "وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي (1)، فكان جزاء الإشراك بالله تعالى: "وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا" (2) فللعقيدة التوحيد أثر بالغ في الأمن للمال وذلك من خلال ما يأتي:

1- الشعور بالمسؤولية تجاه هذا المال: فالمؤمن يستحضر أنه مسؤول أمام الله على ماله يوم الحساب من حيث مصدره وكيفية إنفاقه لقوله: "لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ مَا فَعَلَ بِهِ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ" (3)، وهذا بدوره يجعله يحرص على اكتساب المال من الطرق المشروعة مراعيًا في ذلك أوامر الله ونواهيه فلا يسرق ولا يرتشي ولا يغتصب ولا يراي،... ويؤدي ما عليه من حقوق عند إنفاقه ويبتعد عن الإسراف، والتبذير، والإنفاق في المحرمات، وكل ما نهى الله عنه... فيتحقق ما يسمى بالأمن الغذائي، وهذا انطلاقًا من إيمانه بالله واليوم الآخر والملائكة الذين يسجلون عليه كل صغيرة وكبيرة، ولذلك يربط الله تعالى في خطابه بين المال والإيمان بالله واليوم الآخر ليحرك مفعولهما في نفس المؤمن فيستحضر سؤال الله له عن ماله، فيلتزم أوامره ويبتعد عن نواهيه ويقول: "لَا يَسْرِقُ السَّارِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ..."، ويقول تعالى في التحذير من عاقبة الاكتمار في الآخرة: "وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

¹ - الكهف: 32-38.

² - الكهف: 42.

³ - سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب " ما جاء في شأن الحساب والقصاص "، ج 4 ص 612، سنن الدارمي باب " من كره

الشهرة والمعرفة "، ج 1 ص 144.

فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنُزُونَ⁽¹⁾.

وفي ذلك تحقيق للأمن على المال نفسه، وفي الوقت نفسه فيه منع لما يهدد الأمن في غالب الأحيان بسبب محاولة تحصيل المال بكل الطرق وإن كانت غير مشروعة واستخدامه فيما يفسد الفرد والمجتمع فيغيب الأمن والأمان وخير مثال على ذلك الأزمة الاقتصادية التي حدثت بسبب مخالفة شرع الله عن طريق التعامل بالربا وغيره من المعاملات القائمة على أساس الظلم والاستغلال للغير؛ فقالتعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ⁽²⁾، فقد أعلن الله ورسوله الحرب - بما تحمله هذه الكلمة من خوف وفزع عند إطلاقها - على المتعاملين بالربا وهذا ما نراه جليا واضحا على المستوى العالمي حيث ساد خوف شديد من نتائج تلك الأزمة.

فإذا كانت الأنظمة الوضعية يقوم فيها الاقتصاد على أساس المصلحة والأنانية والمنافسة الوحشية تحت شعار الغاية تبرر الوسيلة، فإن الاقتصاد الإسلامي تحكمه معايير أخلاقية منبثقة من عقيدة التوحيد حيث لا يمكن التنازل عنها مهما كانت الأرباح أو الخسائر؛ كمنع الغش والاحتكار والغرر والتطفيف في الميزان و... غيرها من التصرفات اللاأخلاقية التي تؤدي إلى نشر الخلاف والنزاع بين المتعاملين وانعدام الثقة فيتزعزع الأمن بينهم، ففي هذه التربية الاقتصادية دعوة إلى الأمن الإنساني للفرد والمجتمع... وهذه التربية الاقتصادية يمكن أن تكون هدفا فرعيا لهدف أكبر وهو العبودية لله أو الاستخلاف كما يمكن أن تكون هدفا أساسيا يتفرع عنه عدد من الأهداف الفرعية الفردية والاجتماعية، يقول عبد الكريم زيدان: " ويراعي النظام الاقتصادي معاني الأخلاق الفاضلة فلا يجوز لإنسان أن يهدر هذه المعاني أو يتخطى حدودها في أي جانب من جوانب نشاطه الاقتصادي لأن المجتمع الإسلامي يقوم على معاني الأخلاق كالمحبة والتعاون والنظيف قال تعالى: "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"⁽³⁾، فلا حسد ولا خصام ولا حقد ولا بغضاء ولا كذب ولا غش ولا خداع ولا غدر، وإذا ما صار في يد الإنسان مال لم يجز أن ينفقه في

¹ - التوبة: 34 - 35.

² - البقرة: 278 - 279.

³ - المائدة: 2.

الفحش والرذيلة ومتع الجسد المحرمة، بل عليه أن ينفقه في السبل الحلال وتنفيس الكرب عن المكروب والمحتاجين، وإذا أراد أن ينمي الإنسان أمواله فلا يجوز له أن ينميها بما يفسد الأخلاق ويقطع روابط المودة بين أبناء المجتمع كفتح حانات الخمر والفحش والإقراض بالربا. وهذه المراعاة لمعاني الأخلاق منها ما هو متروك لإيمان الإنسان ووجدانه كالتزامه بالصدق والوفاء ومنها ما تتدخل الدولة في إلزام الأفراد به وإجبارهم عليه مثل منعه الربا وفتح محلات الفحش والخمر " (1).

لذلك أكد المولى Y أنه لن يتحقق الأمن الاقتصادي إلا في ظل عقيدة التوحيد فيقول: "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ" (2)، وقال تعالى أيضا: "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ" (3).

- اعتقاد المسلم بأن المال مال الله وهو مستخلف فيه: ينطلق المؤمن في تعامله مع المال اكتسابا وإنفاقا واستغلالا على أساس أنه مال الله وهو مستخلف فيه وأن ملكيته له ليست ملكية حقيقية بدليل قوله تعالى: "وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ" (4)، وقوله أيضا: "آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ" (5)؛ قال القرطبي: - في قوله تعالى: "مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ" - دليل على أن أصل الملك لله سبحانه وأن العبد ليس له فيه إلا التصرف الذي يرضي الله، فيثبته على ذلك بالجنة... وهذا يدل على أنها ليست بأموالكم في الحقيقة، وما أنتم فيها إلا بمنزلة النواب والوكلاء... (6) وأكد الزمخشري هذا المعنى؛ فقال: "الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها وإنما مولاكم إياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها بخلقه وإنشائه لها فليست هي بأموالكم في الحقيقة، وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب" (7).

1- أصول الدعوة، ص 244.

2- الأعراف: 96.

3- النحل: 112.

4- النور: 33.

5- الحديد: 7.

6- الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، القاهرة، سنة (1387هـ، 1967م)، ج7 ص238.

7- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوب التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط3 سنة (1407هـ، 1987م)،

ج4 ص 473.

وهذا الاعتقاد يجعل المسلم لا يتصرف في المال إلا وفق أوامر مالكة الأصلي، جاعلا إياه وسيلة يبتغي بها رضوان الله وليس غاية يتسلط بها على رقاب الناس، وهذا ما أكدت عليه التوجيهات النبوية في بيان المفهوم الحقيقي لملكية المال، فيقول p: "يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكٍ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِستَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ..."⁽¹⁾ ويقول أيضا: " أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالَهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ قَالَ: فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالٌ يُورِثُهُ مَا أَخَّرَ " ⁽²⁾.

وبهذه العقيدة تعالج مشكلة حب المال بما يجعلها في إطارها المتوازن والمعتدل؛ فلا مانع من كسب المال والتمتع به لكن مع اعتباره وسيلة للعبور إلى الآخرة، لذلك يزوج القرآن الكريم في خطابه بين أسلوب الوعيد والترغيب عند الكلام على المال، فيقول تعالى: "ويل لكل همزة لمزة..."⁽³⁾، ويقول في موضع آخر: "الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا"⁽⁴⁾.

وبهذا المفهوم للمال يحرص المسلم على التصرف في ماله بما يجعله أحد أسباب الفوز بالجنة وليس -والعياذ بالله طريقا إلى النار- كحال الذين حكى عنهم القرآن الكريم ليكونوا عبرة لغيرهم أمثال قارون والأمم

المترفة .

وهذا بدوره يحقق الأمن للمال في ذاته -كما سبق بيانه-، ويمنع أن يكون المال وسيلة تهديد لأمن الأفراد والمجتمعات وذلك وفق نظرية منع التعسف في استعمال الحق⁽⁵⁾.

فتكون عقيدة التوحيد هي لبّ الإسلام وأساسه ومنها تنبثق سائر نظمه وأحكامه وأوامره ونواهيته... والتي يؤدي الاعتقاد بها إلى تحقيق الأمن الشامل للدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال في

¹ - صحيح مسلم، كتاب " الزهد والرقائق "، باب منه، ج 4 ص 2273.

² - صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب " ما قدم من ماله فهو له "، ج 8 ص 93.

³ - الهمزة: 1 - 9.

⁴ - الكهف: 46.

⁵ - نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، فتحي الدريني، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار البشير، الأردن، ط 2 سنة 1419 هـ،

1998 م)، ص 188 وما بعدها.

الدنيا والآخرة مصداقا لقوله تعالى: "الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ" (1).

2- دور القيم الأخلاقية في تحقيق الأمن العام

إنّ الدين الإسلامي غاية هي إتمام مكارم الأخلاق كما عبّر الحبيب المصطفى p: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ" (2), بل هو حسن الخلق ذاته, وهذا يعني أنّ حسن الخلق هو ركنه العظيم الذي لا قوام له من دونه لذلك أعطاه الإسلام مكانة رفيعة ودرجة عالية فقال p: "مَا مِنْ شَيْءٍ أَنْقَلَ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ" (3), وقال p: "إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَفْرَبَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا..." (4) , وقال رسول الله p: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ" (5) وقد تميز p بالخلق الرفيع فمدحه الله Y من فوق سبع سموات.

وقد ارتبطت الأخلاق بالجانب الإيماني والعبادات والمعاملات وكل مناحي الحياة لما لها من أهمية في تنظيم الحياة يقول الفيلسوف بنتام*: "الأخلاق علم غايته تنظيم أعمال الإنسان للوصول إلى الدرجة الممكنة من السعادة وهذه الغاية هي التي ينبغي أن تكون لعلم القانون ولكن هذان الفنان, أو هذان العلمان يختلفان في عموم الموضوع وخصوصه, فالأعمال كلها ويعمومها تدخل في دائرة علم الأخلاق فهو مرشد يأخذ بيد المرء في جميع أحوال الحياة وكل علامات المرء مع غيره, وليس هذا من الممكنات في علم القانون, وإن كان ممكنا وجب الابتعاد عنه لأنّه لا يجوز أن يكون للقانون سلطة مستمرة في سير الأفراد الشخصي, فعلم الأخلاق يقضي على الإنسان بفعل كل ما هو فيه منفعة للأمة

¹ - الأنعام: 82.

² - سنن البيهقي الكبرى, كتاب الشهادات, باب " بيان مكارم الأخلاق ", ج 10 ص 191.

³ - سنن الترمذي, كتاب البر والصلة عن رسول الله p, باب " حسن الخلق ", ج 4 ص 363, سنن أبي داود, كتاب الأدب, باب " في حسن الخلق ", ج 4 ص 400.

⁴ - مسند أحمد, مسند أبي ثعلبة الخشني, ج 4 ص 193.

⁵ - سنن الترمذي, كتاب الدعوات عن رسول الله p, باب " دعاء أم سلمة ", ج 5 ص 575.

* - بنتام جيرمي هو: مشرع وفيلسوف وعالم اقتصادي إنجليزي, ولد سنة 1748 م, كان لمحاولاته حل المشكلات الاجتماعية بطريقة علمية أثر كبير في الفكر الإصلاحية في القرن التاسع عشر, نشر كتابه الأول " مقدمة في مبادئ الأخلاق والتشريع " وكان صداه في فرنسا أكبر منه في إنجلترا, فمنحته الجمعية الوطنية الفرنسية عام 1792 م لقب " مواطن فرنسي " تكريما له, توفي سنة 1831 م. [الفلسفة المصطلحات والأعلام, سعيد سبيع, دار الكتب العلمية, الجزائر, ط1, د.ت, ص126].

ومنفعة للشخص ولكن كثيرا من الأفعال النافعة للأمة لا يمكن أن يأمر بها القانون...⁽¹⁾. وهذا يدل على أنّ سلطة الأخلاق على نفس الإنسان أشد من سلطة القانون؛ إذ من السهل جدا أن يتملص الشخص من عقاب القانون الذي لا يرافقه في كل الأحيان، ولكن من الصعب أن يتنازل على أخلاقه ومبادئه المغروسة في أعماقه. إنّ قيام المجتمعات على الأخلاق الكريمة ضرورة اجتماعية لا يمكن الاستغناء عنها لأنها الطريق إلى تحقيق الأمن والسلام للفرد ولاستمرار علاقاته مع بني مجتمعه الذين يعيش معهم؛ فمع نفسه من خلال رضاه عليها كونها اتصفت بأحسن الأخلاق التي تشعره بالراحة والاطمئنان وهذا بدوره يجعله محل ثقة واحترام بين الآخرين، فيسود الأمن والأمان، وعلى العكس من ذلك يسود الخوف والاضطراب وانعدام الأمن إذا سادت مساوئ الأخلاق؛ قال حبنكة الميداني: "...ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لا بد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان تفكك أفراد المجتمع وتصارعوا وتناهبوا مصالحتهم ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار ثم إلى الدمار"⁽²⁾.

ذلك لأنّ للأخلاق أهمية كبيرة في التأثير في سلوك الإنسان وما يصدر عنه؛ كما قال الغزالي: " فإنّ كل صفة تظهر في القلب، يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة"⁽³⁾ وهذا يعني: " أنّ صلاح أفعال الإنسان بصلاح أخلاقه لأنّ الفرع بأصله، إذا صلح الأصل صلح الفرع وإذا فسد الأصل فسد الفرع، والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا، ولهذا كان النهج السليم في إصلاح النَّاس وتقويم سلوكهم وتيسير سبل الحياة الطيبة لهم أن يبدأ المصلحون بإصلاح النفوس وتزكيتها وغرس معاني الأخلاق الجيدة فيها، ولهذا أكد الإسلام على صلاح النفوس وبين أنّ تغيير أحوال النَّاس من سعادة وشقاء ويسر وعسر ورخاء وضيق وطمأنينة وقلق وعز وذل كل ذلك ونحوه تبع لتغيير ما بأنفسهم من معان وصفات .

وبالتالي يكون لانتشار الأخلاق الحسنة أثر كبير في إشاعة الأمن الشامل للخلق جميعا، في حين إذا عمت رذائل الأخلاق عمّ معها القلق والاضطراب والخوف واللامن، لانعدام الرادع على ذلك؛ كما قال p: "...إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ"⁽⁴⁾.

¹ - العقوبة، أبو زهرة، ص 55.

² - المرجع السابق، ص 34.

³ - إحياء علوم الدين، ج 3 ص 59.

⁴ - صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب " إذا لم تستح فاصنع ما شئت "، ج 4 ص 177.

لذلك فقد أمر الإسلام بكل خلق رفيع ونهى عن كل خلق سيئ، وسأذكر أمثلة لأخلاق حسنة لها دور كبير في نشر الأمن والأمان بين المسلمين - على سبيل الذكر لا الحصر - لأنه حقيقة ما من خلق رفيع إلا وله أثره في نشر الأمن ولكن لصعوبة الإحاطة بها كلها سأقتصر على البعض منها مع بيان دورها في تحقيق الأمن للكليات الخمس ويقاس عليها ما شابهها، ومن هذه الأخلاق ما يلي:

1- الصدق:

تعريفه:

لغة: مادة الصدق في لغة العرب تدل على قوة الشيء سواء أكان الشيء قولاً أم غيره، وسمي الصدق القولي صدقاً لقوته في نفسه ولأنّ الكذب لا قوة له، والأصل في هذا قول العرب: رمح صدق أي صلب⁽¹⁾.

شرعاً: فيعرف الصدق بأنه قول الحق وبأنه القول المطابق للواقع والحقيقة⁽²⁾، أو هو مطابقة القول الضمير والشيء المخبر عنه⁽³⁾.

دور الصدق في تحقيق الأمن:

الصدق له أهمية كبيرة في الإسلام ويكفيه أنه أحد صفات الله تبارك وتعالى، كما أنه صفة الأنبياء والرسل وعلى رأسهم الصادق الأمين الذي شهد له الأعداء بذلك، وهو صفة الأخيار من عباد الله الصالحين الذين التزموا طاعة الله ورسوله، والكلام على فضائله يطول والمقصود هو آثاره ودوره في تحقيق الأمن؛ جاء في مدارج السالكين: "إنّ الصدق منه تنشأ جميع منازل السالكين والطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان وسكان الجنان من أهل النيران وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه ولا واجه باطلاً إلا أرداه وصرعه، من صال به لم تردّ صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته فهو روح الأعمال ومحك الأحوال والحامل على اقتحام الأهوال والباب الذي دخل به الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاطه اليقين، ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين،

¹ - لسان العرب، ابن منظور، ج4 ص 2217.

² - الأخلاق الإسلامية وأسسها، حبكة الميداني، ج1 ص 526.

³ - موسوعة أخلاق القرآن، الشرباصي، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، سنة (1401هـ، 1981م)، ج1 ص40.

ومن مساكنهم في الجنات تجري العيون والأنهار إلى مساكن الصديقين، كما كان من قلوبهم إلى قلوبهم في هذه الدار مدد متصل ومعين" (1).

ذلك أنه كلما كان الإنسان صادقا مع نفسه عرف حقيقة وجوده ومن ثم عرف ربه، فالصدق يهدي إلى الإيمان، ومن كان صادقا خلقه الصدق فإنه لا يمكن أن يكون منافقا لأن الكذب هو العماد الأول للنفاق، وهذا بدوره يحقق الأمن النفسي للصادق والخوف والاضطراب للكاذب يؤكد ذلك؛ قوله p: "دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ فَإِنَّ الصِّدْقَ طَمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الكَذِبَ رِيْبَةٌ" (2)، لأن الصدق يشمل الأقوال والأفعال وهذا له تأثيره على علاقة الإنسان بربه وبإخوانه؛ قال ابن القيم: "والصدق ثلاثة: قول وعمل وحال. فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها، والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس على الجسد، والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص. واستفراغ الوسع وبذل الطاقة... فأعلى مراتب الصدق مرتبة الصديقية وهي كمال الانقياد مع كمال الإخلاص للمرسل..." (3) فالترجمة الفعلية لخلق الصدق تشمل علاقة الإنسان بربه فيكون مؤمنا مصدقا بأركان الإيمان منفا لواجباته من صلاة وزكاة، وتشمل علاقته بإخوانه فيكون معطاء من ماله لذوي الحاجات من ذوي القربى واليتامى... متصفا بالوفاء بالعهد والصبر في الفرح والحزن وعند الشدة، وبذلك يتحقق الأمن للدين لأنه آمن بربه والتزم بأوامره ويعم الأمن على النفس والمال وغيرها بسبب ما يؤدي إليه الصدق من تكافل اجتماعي وثقة متبادلة بسبب الوفاء بالعهد ورضا وطمأنينة بسبب خلق الصبر...

لذلك كان واجبا على المسلم الصدق في جميع الأحوال، ولم يستثن من ذلك إلا حالات خاصة يجوز فيها الكذب لحفظ الأمن، فالتاجر مطالب بالصدق، والشاهد مطالب بالصدق، والذي يريد الزواج عليه بالصدق فيأمن الناس على أموالهم وأعراضهم وحقوقهم، قال p: "البَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَ أَوْقَالَ

¹ - ابن القيم، ج 2 ص 268-269.

² - مسند أحمد، حديث الحسن بن علي، ج 1 ص 200، سنن الترمذي، كتابصفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله p باب منه ج 4 ص 668.

³ - مدارج السالكين، ابن القيم، ج 2 ص 270، موسوعة أخلاق القرآن، الشرياصي، ج 1 ص 47.

حَتَّى يَتَفَرَّقَا فَإِنَّ صَدَقًا وَبَيِّنًا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيِّعِهِمَا وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَّتْ بَرَكَتُهُ بَيِّعِهِمَا"⁽¹⁾، وقال للرجل الذي وجده يغش في الطعام: " مَنْ عَشْنَا فَلَيْسَ مِنَّا "⁽²⁾، وفي الوقت نفسه شدد في تحريم شهادة الزور والقذف واليمين الغموس لأنَّ فيها كذب يؤدي إلى تهديد الأمن على المال والأعراض، أما الحالات التي يجوز فيها الكذب فالمتمتع فيها يجد أنَّ المقصد منها هو تحقيق الأمن، قال ابن شهاب: " ولم أسمع يرخص في شيء ممَّا يقول النَّاسُ كذب إلا في ثلاث: الحرب والإصلاح بين النَّاسِ وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها " ⁽³⁾، لما في ذلك من تحقيق للأمن من الأعداء بعدم إخبارهم بحقيقة المسلمين لأن الحرب خدعة، والأمن بين المسلمين بتحسين العلاقات بينهم عن طريق الإصلاح بدل الخلاف والخصام الذي يؤدي إلى التناحر والتقاتل وغيرهما، ونشر الأمن داخل الأسرة بما يؤدي إلى المودة والوفاق بين الزوجين فتعم الطمأنينة والسكينة.

2- العدل:

تعريفه:

لغة: هو " ما قام في النفوس أنه مستقيم وهو ضد الجور. وفي أسماء الله سبحانه: العدل والعدل: الحكم بالحق، يقال هو يقضي بالحق ويعدل " ⁽⁴⁾، ويقال: "رجل عدل بين العدل والعدالة: معناه ذو " ⁽⁵⁾.

شرعا: هو القصد في الأمور، وهو الإنصاف والمساواة بين النَّاسِ وهو الحكم بالاستواء، وهو تحري المساواة والمماثلة بين الخصمين...⁽⁶⁾.

وقد ورد ذكر العدل في كثير من نصوص القرآن والسنة النبوية، منها قوله تعالى: "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم"⁽¹⁾، هذه الآية

¹ - صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب " ما يحق الكذب والكتمان في البيع "، ج3 ص 59، صحيح مسلم، كتاب البيوع، باب " الصدق في البيع "، ج3 ص 1164.

² - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب " قول النبي p : " من غشنا فليس منا "، ج1 ص 98.

³ - المصدر السابق، كتاب البر والصلة والآداب باب " تحريم الكذب وبيان المباح منه "، ج4 ص 2011.

⁴ - لسان العرب، ابن منظور، ج4 ص 2838.

⁵ - التعريفات، الجرجاني، ص 191.

⁶ - موسوعة أخلاق القرآن، الشرباصي، ج1 ص 22.

التي قال فيها الصحابي الجليل ابن مسعود τ : "هذه أجمع آية في القرآن لخير يمتثل ولشر يجتنب" (2), وقال p : "إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ مَنَابِرٍ مِّنْ نُورٍ عَن يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكِلْتَايَدَيْهِ يَمِينُ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَاؤُلُوا" (3).

دور العدل في تحقيق الأمن:

إنّ علاقة العدل بالأمن تظهر من خلال المظاهر التي تنتج عن الالتزام بهذا الخلق الرفيع مع الإنسان نفسه ومع ربّه ومع غيره, "ولذلك نرى أهل الإيمان الصادقين أهل عدل, إذ جعلهم حبهم للحق يؤمنون به, فإيمانهم به يدفعهم إلى إقامة العدل والحكم بالعدل والشهادة بالعدل ومعاملة الناس بالعدل والقول بالعدل والكتابة بالعدل إلى غير ذلك ممّا يدخل فيه العدل والجور, ولذلك لما أمر الله بالعدل والقسط خاطب بأمره الذين آمنوا إشعاراً بأن العدل من لوازم الإيمان..." (4).

والعدل مطلوب في مجالات متعددة؛ تشترك جميعها في تحقيق الأمن على الحقوق, فالوالي الذي يحكم بالعدل بين رعيته يضمن لكل فرد منهم الأمن على حقوقه, والقاضي الذي يقضي بين الخصمين بالعدل يكون قد أمّن المظلوم على حقه, والشاهد والكاتب اللذان يؤديان واجبيهما وفق العدل يساعدان في أمن الناس بوصول حقوقهم إليهم, والزوج الذي يعامل زوجاته -عند التعدد- وأبنائه بالعدل يحقق الأمن الأسري, والتاجر الذي يعدل في بيعه وشرائه يحقق الأمن على الأموال والبعد بها أن تؤكل بالباطل الذي يكون سبباً في انعدام الأمن عن طريق كثرة الخصومات والسرقة وغيرها من طرق الكسب غير المشروعة... والوالد الذي يثبت نسب أبنائه منه بالعدل يمنع العدوان على أصحاب الحقوق ويحقق الأمن للأنساب.... وهكذا فالعدل يدخل في شتى مجالات الحياة التي إذا تحققت فيها أمن الأفراد والجماعات, قال الماوردي: "...وأما القاعدة الثالثة -أي من القواعد التي تصلح الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة وأمورها ملتزمة- فهي عدل شامل يدعو إلى الألفة ويبعث على الطاعة وتعمّر البلاد وتنمو به الأموال ويكثر معه النسل ويأمن به السلطان..." (5), ولذلك كان تطور الأمم وازدهارها يرجع

¹ - النحل: 90.

² - الجامع لأحكام القرآن, القرطبي, ج10 ص165.

³ - صحيح مسلم, كتاب الإمارة, باب " فضيلة الإمام العادل ", ج3 ص 1458.

⁴ - الأخلاق الإسلامية وأسسها, حبكة الميداني, ج1 ص 227.

⁵ - أدب الدنيا والدين, تحقيق: محمد فتحي أبو بكر, الدار المصرية اللبنانية, القاهرة, ط 1 سنة (1408هـ, 1988م), ص 119.

إلى مدى التزامها بمبدأ العدل مهما كانت عقيدتها، قال ابن تيمية: "...وذلك أنّ العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة..."⁽¹⁾.

فالعلاقة وطيدة بين العدل والأمن، فكلما اتسع مجال تطبيق العدل زاد استتباب الأمن وعمّ ليشمل الكليات الخمس؛ قال عبد الكريم زيدان: "...إنّ تأكيد الإسلام على معاني العدل وضرورة الالتزام به والنهي عن الظلم وضرورة تجنبه، تترتب عليه نتائج خطيرة ذلك أنّ المجتمع الذي يشيع فيه العدل يحس أفراده بالاطمئنان على حقوقهم، لأنّ القانون يكون مع المحق وإن كان ضعيفا لا مع المبطل وإن كان قويا وبالعكس ذلك إذا شاع الظلم وندر العدل أحس الأفراد بالقلق الدائم على حقوقهم وزال عنهم الاطمئنان والاستقرار، وكان ذلك إيذانا بدمار هذا المجتمع وقد أشار الرسول الكريم μ إلى أثر التفريط في العدل وكيف يؤدي بالأمة إلى الهلاك، فقد جاء في الحديث: "إِنَّمَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَآيِمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"⁽²⁾، وتعليل هلاك الأمم بسبب الظلم أنّ الظلم كالنار يحس بوطأتها المظلومون، فإذا شاع الظلم وغارت معاني العدل كثر المظلومون الذين لا يرون في هذا المجتمع حماية لهم ولا حفظا لحقوقهم وإنما يرون فيه هضم حقوقهم وهذا يجرهم إلى عدم الاهتمام به وبقائه وهذا قد يجرهم إلى المعاونة على هلاكه وإفناؤه وهذا بخلاف المجتمع العادل حيث يحرص الأفراد على بقائه ورد الأعداء عنه لأتهم يرونه كالبيت الذي يؤويهم..."⁽³⁾.

3- الأمانة:

تعريفها:

لغة: الأمانة مصدر أمانة يأمنه أمانة، أي وثق فيه واطمأن إليه ولم يخفه، والأمين هو الثقة المؤتمن ويذكر ابن فارس أنّ مادة الأمانة لها أصلان متقاربان: أولهما الأمانة التي هي ضد الخيانة

¹ - مجموع الفتاوى، م28ص146.

² - سبق تخرجه، ص 116.

³ - أصول الدعوة، ص 111.

ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق، والمعنيان متدانيان وأصل الأمن هو طمأنينة النفس وزوال الخوف (1).

شرعا: الملاحظ أنّ هناك ثلاثة ألفاظ من مادة الألف والميم والنون وبينهما علاقة وطيدة ورابطة قوية وهذه الكلمات هي: الأمن، الأمانة، والإيمان، والمعنى المشترك بينهما هو الاطمئنان، لأنّ الأمانة تدل على الثقة والثقة اطمئنان، والأمن عدم الخوف، وعدم الخوف اطمئنان، والإيمان تصديق وإذعان وفيهما استقرار واطمئنان (2).

ولقد حثّ القرآن الكريم والسنة النبوية كثيرا على رعاية الأمانة وصيانتها، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: "إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا" (3)، وقد اختلف المفسرون في تحديد المقصود بالأمانة في هذه الآية فذهب الطبري إلى أنّ المراد في هذا الموضوع هو جميع الأمانات الموجودة في الدين وكذلك جميع الأمانات التي تكون بين الناس لأنّ الآية لم تخصص نوعا من أنواع الأمانة فكان التعميم أولى وأحسن (4)، ويؤكد هذا المعنى ما روي عن عبد الله بن مسعود ر قال: " الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَكْفُرُ كُلَّ ذَنْبٍ إِلَّا الْأَمَانَةَ يُؤْتَى بِصَاحِبِهَا وَإِنْ كَانَ قَتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقَالَ لَهُ: أَدَّ أَمَانَتَكَ فَيَقُولُ: رَبِّ ذَهَبَتِ الدُّنْيَا فَمِنْ أَيْنَ أُوَدِّيَهَا فَيَقُولُ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى الْهَاطِيَةِ حَتَّى إِذَا أُتِيَهِ إِلَى قَرَارِ الْهَاطِيَةِ مَثَلَتْ لَهُ أَمَانَتُهُ كَيَوْمٍ دُفِعَتْ إِلَيْهِ فَيَحْمِلُهَا عَلَى رَقَبَتِهِ يَصْعَدُ بِهَا فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا رَأَى أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا هَوَتْ وَهَوَى فِي أَثَرِهَا أَبَدَ الْأَبْدِينَ وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّا لِلَّهِ يَا مَرْكُومٌ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا... " (5).

دور الأمانة في تحقيق الأمن:

تشمل الأمانة مجالات متعددة- كما سبق بيانه- وأثرها يظهر كما يلي:

¹ - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سنة (1399هـ، 1979م)، ج 1 ص 133.

² - موسوعة أخلاق القرآن، الشرياصي، ج 2 ص 16.

³ - الأحزاب: 72.

⁴ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، لبنان، سنة (1408هـ، 1988م)، م 12 ص 56.

⁵ - سنن البيهقي الكبرى، كتاب الوديعة، باب " ما جاء في الترغيب في أداء الأمانات "، ج 6 ص 288.

الأمانة يراد بها التكليف والحقوق المرعية التي أودعها الله المكلفين، وائتمنهم عليها وأوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد، وأمرهم بمراعاتها وأدائها والمحافظة عليها من غير إخلال بشيء منها، وهذا بدوره يؤدي إلى حفظ الدين والأمن عليه لأنها تستلزم تطبيق أوامر الله والكف عن نواهيه والقيام بالمعنى الشامل للعبودية.

والأمانة تشمل الأجسام والأرواح بكف النفس واليد عن التعرض لها بسوء من قتل أو جرح أو ضرر أو أذى وهذا بدوره يحقق الأمن على النفس، وهي تشمل المعارف والعلوم؛ فمن الأمانة تأديتها دون تحريف أو تغيير مع نسبة الأقوال إلى أصحابها وعدم انتحال الإنسان ما لغيره، مع تبليغ ما يعلم وعدم احتكاره على نفسه عملا بقوله p: "مَنْ كَتَمَ عِلْمًا يَعْلَمُهُ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْجَمًا بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ"⁽¹⁾، فيتحقق الأمن للعقول، كما تشمل الأمن على الأعراض فمن الأمانة العفة عما ليس للإنسان به حق وكف النفس واللسان عن نيل شيء منها بسوء كالقذف والغيبة بل إن مجرد الكلام أمانة فقال p: "إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ التَّفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ"⁽²⁾، وذلك لحفظ الأسرار ومن ثم حفظ العلاقات بين المسلمين والبعد عن أسباب الخلاف والشقاق التي تهدد الأمن وتشيع انعدام الثقة والكره وغيرهما...، لذلك كان الجهر بما يحدث في المجالس جائزا استثناء عند ما يتعلق الأمر بتهديد الأمن على أحد الكليات الخمس فقال p: "الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ مَجَالِسَ سَفْكَ دِمٍ حَرَامٍ أَوْ فَرْجٍ حَرَامٍ أَوْ اقْتِطَاعِ مَالٍ بِغَيْرِ حَقٍّ"⁽³⁾؛ أي أن السكوت عن هذه الأمور في مثل هذه الأحوال يعدّ خيانة وليس من الأمانة لأن المراد من الأمانة تحقيق الأمن لا زرع الخوف والفرع بين الناس.

4- الرحمة وفروعها وظواهرها السلوكية وأضدادها

تعريف الرحمة:

لغة: في لغة العرب تدل على الرقة والعطف والرأفة والمغفرة، والرحم علاقة القرابة، والرحيم المبالغ في الرحمة⁽⁴⁾.

¹ -مسند أحمد، مسند أبي هريرة، ج2 ص 499.

² - سنن الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله p باب " ما جاء أن المجالس أمانة "، ج4 ص 341.

³ - مسند أحمد، مسند جابر بن عبد الله، ج3 ص 342، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب " في نقل الحديث "، ج4 ص 419.

⁴ - لسان العرب، ج3 ص 1611.

شرعا: الرحمة كما يقول العلماء: رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الإحسان المجرد من الرقة نحو: رحم الله فلانا, وإذا نسب وصف الرحمة إلى الله تعالى فلا يراد به إلا الإحسان المجرد عن الرقة⁽¹⁾؛ كما يقول الأصفهاني: " والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة الإحسان المجرد عن الرقة نحو: رحم الله فلانا وإذا وصف بها الباري فليس يراد بها إلا الإحسان المجرد دون الرقة..."⁽²⁾, ويقول الجرجاني: " الرحمة إرادة إيصال الخير"⁽³⁾ ويعرفها حبنكة الميداني بقوله: " الرحمة رقة في القلب يلامسها الألم حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود الألم عند شخص آخر أو يلامسها السرور حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود المسرة عند شخص آخر "⁽⁴⁾.

والرحمة فضيلة إسلامية قرآنية عظيمة ويكفيها فضلا أنها صفة من صفات الله تعالى, وقال p: " إِنَّ لَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهُ اللَّهُ رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالْبِهَائِمِ وَالْهَوَامِّ فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ وَبِهَا تَغَطِّفُ الْوُحُوشُ عَلَى وُلْدِهَا وَأَخَّرَ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"⁽⁵⁾.

دور الرحمة في تحقيق الأمن:

هذا الجزء الذي تتواصل به المخلوقات, لو فقد لأصبحت الحياة جحيما, وكلما عمّت هذه الفضيلة عمّ معها الأمن والأمان وبيان ذلك كما يلي:

حث الله تعالى على التحلي بالرحمة مع أحق الناس بها وهم الآباء والأمهات, فقال تعالى: "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا"⁽⁶⁾, قال القرطبي "... أنّ هذه استعارة في الشفقة والرحمة بهما والتذلل لهما وضرب خفض الجناح ونصبه مثلا لجناح الطائر حين ينتصب بجناحه لولده, الذل هو اللين فينبغي بحكم هذه الآية أن يجعل الإنسان نفسه مع أبيه في

¹ - موسوعة أخلاق القرآن, الشرباصي, ج 1 ص 122

² - مفردات ألفاظ القرآن, تحقيق: صفوان عدنان داوودي, دار القلم دمشق, الدار الشامية, بيروت, ط 1 سنة (1412هـ, 1992م) ص 347.

³ - التعريفات, ص 146.

⁴ - الأخلاق الإسلامية وأسسها, ج 2 ص 5.

⁵ - صحيح مسلم, كتاب التوبة, باب "في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه", ج 4 ص 2108.

⁶ - الإسراء: 24.

خير ذلة، في أقواله وسكناته ونظراته ولا يحد إليهما النظر...، ثم أمر تعالى عباده بالترحم على آبائهم والدعاء لهم، فيقول للإنسان إنه يجب عليك أن ترحمهما كما رحماك وترفق بهما كما رفق بك إذ تولياك صغيرا جاهلا محتاجا فأثراك على أنفسهما وأسهرتا ليلهما وجاعا وأشبعاك وتعريا وكسواك فلا تجزيهما إلا أن يبلغا من الكبر الحد الذي كنت فيه من الصغر فتتولى منهما ما توليا منك ويكون لهما حينئذ فضل التقدم⁽¹⁾.

وقد جاءت كثير من النصوص الشرعية تؤكد ما سبق بيانه، بما يجعل الأبوين يشعران بالأمن ولا يخافان من دائرات الزمان عند كبرهما وضعفهما وعجزهما لأنهما يضمنان حسن الرعاية والحفظ والرحمة بهما من خلال الإلزام الشرعي لأبنائهما بذلك - وهم الأقدار على ذلك - ماديا ومعنويا مقابل أعظم جزاء يحصلون عليه لو فعلوا ذلك وهو الأمن الأخروي من عذاب الله والفوز بالجنة، خلافا لما يحدث في العصر الحاضر من هجر للأبوين وتركهما يتجرعان آلام الحسرة والندامة على ما بذلاه من أجلهم مما قد يؤدي بهما أحيانا إلى الانتحار أو اللجوء إلى دور العجزة كما هو واقع في الدول الغربية والذي انتشر مثله في بعض المجتمعات الإسلامية.

ومن مظاهر خلق الرحمة أيضا صلة الرحم والتي أوصى بها الإسلام كثيرا ونهى شديدا عن قطيعة الأرحام؛ بل إن صلة الرحم من موجبات دخول الجنة، فقد روي أن رجلا قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة فقال **p: "تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ"**⁽²⁾، وذلك لما فيها من تقوية للروابط وتآلف للقلوب بين الأقارب بما يجعلهم كما أخبر **p** كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى⁽³⁾، فيكون التزاور بينهم والتفقد لأحوال بعضهم بعضا والتعاون فيما بينهم، فلا يخاف فقير منهم، ولا ضعيف، ولا عاجز من حاجة لأن له أقارب يفرحون بفرحه ويحزنون لحزنه ولن يتخلوا عنه، لذلك تستحب الزكاة والصدقة للقريب الفقير قبل غيره ليكون لصاحبها أجران أجر الصلة وأجر الصدقة وقد وجد من الفقهاء⁽⁴⁾ من لم يقصر

¹ - تفسير القرطبي، ج 10 ص 243.

² - صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب "وجوب الزكاة"، ج 2 ص 105.

³ - صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب "تراحم المؤمنين"، ج 4 ص 1999.

⁴ - المبسوط، السرخسي، ح 26 ص 117، الفقه الإسلامي وأدلته، الزحيلي، ج 7 ص 535.

وجوب النفقة على الآباء والأبناء بل جعلها تشمل ذوي الأرحام أيضا فيكون المسلم آمنا مطمئنا لا يخشى من نائبات الزمن مادام بين أهله وأقاربه.

ومن مظاهر خلق الرحمة حسن معاشره النساء والأهل، فبهذه الرحمة يتعايش الزوجان مع بعضهما البعض في جو يسوده الأمن والاطمئنان والسكينة متحديان جميع المصاعب والمتاعب التي قد تواجههما ثم تتعدى هذه الرحمة إلى الأبناء، لذلك قال ρ للرجل الذي تعجب لما رأى النبي ρ يقبل الحسن والحسين فقال له: "إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحد قط"، فنظر إليه النبي ρ وقال: "من لا يرحم لا يرحم" (1)، وفي رواية: "أرأيت إن كان الله قد نزع الرحمة من قلبك فما ذنبي" (2)، فيسود الأسرة خلق الرحمة الذي يشعر جميع أفرادها بالأمن والأمان.

ومن مظاهرها أيضا الإحسان إلى الجار والرفق بالضعفاء واليتامى والمساكين وغيرهم، وتمتد لتشمل حتى الحيوان، فقد قال ρ : "بينما كلب يطيف بركية كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فسقته فغفر لها به" (3)، وقال: "دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض" (4)، لذلك بين الفقهاء آداب النحر وفصلوا فيها تحقيقا لمقصد الرحمة عملا بحديث المصطفى: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته" (5)، فقالوا: "ويندب إيضاح محل الذبح بخلق لشعر الحيوان مثلا لسرعة القطع وراحة المذبوح ويندب أيضا حد الشفرة أي السكين وغيرها، والمراد بحدّها سنّها بحجر وغيره لإلاّ يعذب الحيوان بعدم حد السكين، ويستحب أيضا أن يسقى الحيوان ماء قبل الذبح وأن يضجعه برفق ويواري عنه السكين لإلاّ يعذب برؤيتها... ويكره التقطيع قبل الموت أي ويكره الشروع في تقطيع اللحم أو سلخ الحيوان قبل خروج روحه لما فيه من تعذيبه إذ الرفق به مطلوب ندبا لما في

1- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب "رحمة الولد وتقبيله ومعانقته"، ج 8 ص 7، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب "رحمته ρ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك"، ج 4 ص 1808.

2- المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، كتاب معرفة الصحابة، من فضائل الحسن بن علي بن أبي طالب، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 سنة (1411 هـ، 1990 م)، ج 3 ص 186.

2- صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب "حديث الغار"، ج 4 ص 173.

3- صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب "خمس من الدواب يقتلن في الحرم"، ج 4 ص 130، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب "تحريم تعذيب الهرة ونحوها من الحيوان الذي لا يؤذي"، ج 4 ص 2023.

5- صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب "الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة"، ج 3 ص 1548.

الحديث المتقدم...⁽¹⁾، وغيرها من الأحكام الكثيرة التي تضمن أمن الحيوان ممّا لا يتسع المجال لذكره⁽²⁾، بل تتسع الرحمة لتشمل حتى الجماد لذلك نهى الشرع عن إفساد الزرع وقطع الشجر دون سبب حتى لو كان ذلك ملكا للأعداء وفي حالة الحرب بينهم، وفي هذا تحقيق لما يسمى بالأمن البيئي وقد اشتملت الشريعة الإسلامية على كثير من الأحكام الشرعية التي تنظمه⁽³⁾.

وبذلك يكون أفراد المجتمع الإسلامي متراحمين فيما بينهم جميعا فلا يخاف الواحد منهم إن أصابه في نفسه أذى أو في ماله لأنّه يعلم أنّ لديه إخوانا لن يتخلوا عنه أبدا يفرحون لفرحه ويحزنون لحزنه قدوتهم في ذلك الحبيب المصطفى وأتباعه .

وبذلك تتسع آفاق الرحمة لتشمل جميع مخلوقات الله تعالى ولتكون سببا في عموم الأمن والأمان بينها جميعا، ذلك أنّها تستدعي إضافة إلى التعاطف والتآزر، كظم الغيظ والصبر على من أساء والعفو عنه والتسامح والإحسان ولكل هذه الفضائل الدور الكبير في استتباب الأمن بين الناس بمنع الجرائم والبعد عن أسبابها، ولكن لا يعني ذلك أنّ خلق الرحمة يتنافى مع التأديب اللازم والعقاب المناسب عندما يستدعي الأمر ذلك، قال محمد الغزالي: "...والحق أنّ الإسلام يوصي بالرحمة العامة لا يستثني منها إنسانا ولا دابة ولا طيرا والنصوص التي سلفت تؤيد هذا الشمول، بيد أنّ هناك من الناس والدواب من يكون مصدر خطر على غيره ومثار رعب وفزع، فيكون من رعاية الصالح العام للجماعة كلها أن يحبس شره ويحاصر ضرره وقد تكون الشدة معه رحمة به كذلك وتقويما لعوجه"⁽⁴⁾.

أما أضرار الرحمة فهي قسوة القلب التي تؤدي إلى الظلم الذي تتعدد مجالاته؛ فيكون الظلم في مجال حق الله على عباده من عقيدة أو عبادة أو طاعة في أمر أو نهْي، وقد يكون في مجال حقوق العباد بتجاوزها وهضمها، وقد يكون للحقائق الفكرية والعلمية بتجاوز حدودها أو إنكارها وجحودها وقد يكون الظلم لأي كائن ذي حياة...وقد يظلم الإنسان نفسه فيغامر في فعل ما يشتهي ويعرض نفسه

¹ - سراج السالك في شرح أسهل المسالك، عثمان بن حسنين بري الجعلي المالكي، مؤسسة العصي للمنشورات الإسلامية وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، سنة 1992م، ج 2 ص 6-7.

² - أحكام الحيوان في الفقه الإسلامي، محمد حسن دراش، رسالة ماجستير، كلية الشريعة قسم الفقه الإسلامي وأصوله، جامعة دمشق، سنة 1427هـ، (2007م)، ص 57 وما بعدها.

³ - حماية البيئة الطبيعية في الشريعة الإسلامية، صفاء موزة، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، قسم الفقه الإسلامي وأصوله، جامعة دمشق، سنة 1427هـ، (2006م)، ص 146 وما بعدها.

⁴ - خلق المسلم، دار رحاب، الجزائر د.ط، د.ت، ص 219.

لعذاب أليم من وراء ذلك....وباتساع وتعدد مجالات الظلم نلاحظ أنّ منه الكفر بالله والشرك به ومعصيته وتجاوز حدوده, ويدخل في ذلك عدم شهادة الحق ومنع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وأكل أموال النَّاس بالباطل والعدوان على أي حق من حقوق الناس والإعراض عن آيات الله بعد التذكير بها والقتل والسرقة والغش والقذف والغيبة والإفساد بين النَّاس إلى غير ذلك من آثام ومعاصي...⁽¹⁾, وكل هذه التجاوزات لها دور كبير في نشر الخوف والفرع وتهديد الأمن والأمان على مستوى الكليات الخمس, لذلك جعل المولى انعدام الظلم شرطا ضروريا لتحقيق الأمن الشامل للعالم والآخرة.

5- قوة الإرادة ومظاهرها

قوة الإرادة من الأسس التي ترجع إليها مجموعة من الفروع والمفردات الخلقية المحمودة, ويأتي في مقابل هذا الأساس الخلقى خلق ضعف الإرادة الذي ترجع إليه مجموعة من الرذائل الخلقية في السلوك الإنساني⁽²⁾.

ولم يأت التعبير القرآني عن قوة الإرادة في النصوص القرآنية بهذا اللفظ, ولكن جاءت في القرآن ألفاظ ثلاثة ومشتقاتها تشتمل في مجموع دلالتها بحسب مواقعها من النصوص ما نعنيه من (قوة الإرادة).

وهذه الألفاظ كما ذكر حبنكة الميداني هي: (الإرادة- العقل - العزم)⁽³⁾ وقد جاء ذكرها على الترتيب في قوله تعالى: "من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا"⁽⁴⁾, وتكرر في القرآن استعمال العقل ومشتقاته للدلالة على الطاقة الإرادية الجازمة المستندة إلى معرفة الأمور القادرة على عقل النفس عن مزلق أهوائها وشهواتها, أما العزم فهو أعلى مستويات قوة الإرادة ولذلك جعل الله الصبر مع التقوى, وجعل الصبر مع المغفرة لمن أساء من عزم الأمور.

دور قوة الإرادة في تحقيق الأمن:

¹ - الأخلاق الإسلامية وأسسها, حبنكة الميداني, ج2 ص90-91.

² - الأخلاق الإسلامية وأسسها, ج2 ص91-119.

³ - المرجع نفسه, ج2 ص128-132.

⁴ - الإسراء: 18 - 19.

إنّ التحلي بهذا السلوك يؤدي إلى كبح جماح الأهواء والشهوات وعدم التأثير بضغط الجماهير الضالة والقادة المضلين ووساوس الشياطين، فيكون المسلم طائعا لله ملتزما بأوامره ومبتعدا عن نواهيها بفضل قوة إرادته ومن ثمّ يحفظ دينه ويأمن عليه، وهذا بدوره يحقق الأمن على الكليات الأخرى بتطبيق شرع الله، كما أنّ من نتائج قوة الإرادة، تلقي الأحداث بصبر وعدم الحزن على ما فات وعدم التطلع إلى ما هو بعيد المنال، فتطمئن نفسه وترتاح ومن مظاهر قوة الإرادة أيضا ملك النفس عند الغضب الذي كثيرا ما يكون سببا في وقوع كثير من الجرائم؛ فقال p للرجل الذي طلب منه النصيحة " لَا تَغْضَبْ فَرَدَدَ مِرَارًا قَالَ لَا تَغْضَبْ "(1) وبين كيفية إذهابه عن طريق الوضوء أو تغيير الهيئة التي كان عليها فقال p: "يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا غَضِبْتَ فَإِنْ كُنْتَ قَائِمًا فَاقْعُدْ وَإِنْ كُنْتَ قَاعِدًا فَاتَكِيْ وَإِنْ كُنْتَ مُتَكِنًا فَاضْطَجِعْ "(2)، ومن مظاهره أيضا الشجاعة في مواطن الخوف التي يأمر فيها الإسلام بالشجاعة كما في حالة الاعتداء من قبل العدو، فيقف قوي الإرادة في وجهه واضعا نصب عينيه إمّا النصر وإمّا الشهادة وهذا -حتما- سيحقق الأمن للمجتمع الإسلامي ويصبح المسلم قائد أمر نفسه غير متبع لهواه.

فبفضل تلك الأخلاق العالية والفضائل السامية وغيرها يسهم في نشر الأمن والأمان للأفراد والمجتمعات؛ قال الشرياصي: "...ولذلك هدف حديث القرآن عن الأخلاق إلى غاية سامية جليلة هي أن يكون المسلم المؤمن المتخلق بكمكارم الأخلاق صالحا لتلقي الإشراقات الروحية والفيوضات الإلهية التي تجعله يسيطر بروحه على بدنه ويسمو بنفسه فوق حسه ويستجيب لعقله أكثر ممّا يستجيب لعاطفته ويحسن الوفاق بين لبه وقلبه، فإذا هو سليم الفؤاد حكيم المقال رشيد الفعال، لديه من الحصانة ما يجعله يتأبى على الخطيئة والإثم ولديه من نور البصيرة ما يجعله موطن الرحمة الربانية في دنياه والنعمة الباقية في أخراه..."(3).

6- الدافع الجماعي ومحبة الآخرين

كل من الدافع الجماعي والمحبة للآخرين أساس من الأسس العامة للأخلاق وجمعت بينهما لاتصالهما الوثيق؛ حيث إنّ كلاّ منهما يؤدي إلى الغاية نفسها وهي الوصول إلى مجتمع مترابط

¹ - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب " الحذر من الغضب "، ج 8 ص 28.

² - كنز العمال، المتقي الهندي، باب " الغضب "، ج 3 ص 1385.

³ - موسوعة أخلاق القرآن، ج 1، المقدمة ص (ك، ل)

ومتعاون يمثل وحدة واحدة كما وصفه المصطفى p - كالجسد الواحد -، لذلك حرص عليهما الإسلام معا فحث على الجماعة وحذر من الانفراد والانعزالية فقال p: " إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ ⁽¹⁾، ودعا إلى المحبة والتآلف فقال: " الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ " ⁽²⁾، وجاءت كثير من الأحكام الشرعية التي تهدف إلى تحقيق الجماعة المسلمة المتحابية والمتألفة لما في ذلك من أثر في تحقيق الأمن والأمان- كما سيأتي بيانه -.

دور الدافع الجماعي ومحبة الآخرين في تحقيق الأمن:

لن يتحقق الأمن سواء أكان داخليا أم خارجيا في مجتمع ما إلا إذا كان هناك ترابط بين أفراده لذلك فمن الأسس العامة التي ترجع إليها مجموعة من الفروع والمفردات الخلقية المحمودة الدافع الجماعي أو الجماعية ويأتي في مقابل هذا الأساس الخلقى خلق الأنانية والانفرادية أو الانعزالية الذي ترجع إليه مجموعة من النقائص الخلقية في السلوك الإنساني، والدافع الجماعي أو (الجماعية) شعور الفرد بأنه جزء من جماعة هو عضو من أعضائها، أو خلية من خلاياها مع شعوره أنه محتاج إليها فهو يحب الجماعة ويلزمها ويكره الانفراد والانعزال، ولا يستطيع الاستمرار في الوحدة، وهذا الشعور إذا تمكن من الفرد كان له دور كبير في تحقيق الأمن على مستوى الفرد نفسه وعلى مستوى الجماعة التي يعيش معها حيث يطمئن الفرد ويأمن على ضرورياته لأنه مع جماعة تسانده وتقف بجانبه كلما احتاج إلى ذلك، وفي الوقت نفسه يكون مستعدا لبذل ما يستطيع من جهد لتحقيق ما يحتاج إليه إخوانه فتتكاتف الجهود وتشكل قوة لا تقهر في وجه كل اعتداء فيأمن الجميع داخليا وخارجيا .

هذه بعض القيم وهناك قيم أخرى كثيرة لا يتسع المجال لذكرها مما له دور كبير في تحقيق الأمن العام .

¹ - صحيح مسلم، كتاب الأفضية، باب " النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة "، ج 3 ص 1340.

² - السنن الكبرى للبيهقي، كتاب الشهادات، باب " شهادة أهل العصبية "، ج 10 ص 236.